

مادة (ع ل م) في القرآن الكريم دراسة في صورتها البنائية ودلالاتها ومراتبها

المدرس الدكتور ليث داود سلمان

جامعة البصرة - كلية الاداب

قسم اللغة العربية

ولا يقفز الى ذهن المتلقي أن هذه الدائرة أطرافها مادية بلحاظ طرفها الإنساني . نعم ، إن الإنسان مادة بلحاظ كينونته بظرف الاجتماع ، ووعاء الزمان لكنه بجهته السامية ، وخلافته التكوينية موجود مجرد ، اتخذ من بدنه وسيلة لتحركه في هذه النشأة الدانية ، ومن ثم فإن الواجب عز وجل يخاطب المجرّد القار في البدن المادي بمستويات متعددة بحسب اشتداد الجانب الروحي (***) أو الجانب المادي (*) فيه .

ومن ظهرت به هذه الحقيقة جلية ، علم أن الخطابات القرآنية ليست على سمت واحد ، فتارة تطلق الألفاظ ، ويراد بها الظاهر ومرة تطلق ويراد بها الباطن ، وأخرى تطلق ويراد بها باطن الباطن استناداً الى تعدد النشآت التي يتحرك فيها الإنسان ^(١) . وقد وقع الاختيار على مادة (ع ل م) ؛ نظراً لما في مبانيها من معان متعددة ، ودلالات متنوعة ، ولما في معانيها من درجات متفاوتة . . . وقد اقتضت الأهمية هذه تقسيم البحث على ثلاثة محاور : يقدم الباحث في المحور الأول المباني المتعددة لهذه المادة مبنياً خصوصية العالم من حيث الشخص والعدد والنوع . وقد تحدث في المحور الثاني عن دلالة كل مبنى من هذه المباني ، مستعيناً بالسياق كثيراً في إبراز دلالة المبنى وزمنه ، وخصص الحديث في المحور الثالث عن مراتب هذه المادة في ظهورها اللفظي من حيث المعنى ، وقد ركز الباحث على المباني التي فيها جنبه العلم ، وأهمّل المباني الأخرى مثل العالمين والأعلام وغيرها ؛ لأهمية الأول في نظر القرآن ، وما تعطيه من أبعاد أخلاقية وعقدية وغيبية تجعل المتلقي يتعامل معها بترؤ وتديق ، وخصوصاً في الموارد التي يكون الله عز وجل هو المعلم .

المحور الأول

المباني المتعددة للمادة:

في هذا المحور تبرز خصوصية اللغة التي تجعلها قادرة على النمو والتحريك والتكاثر أكثر من غيرها من اللغات ،

والمدقق في المعجم ، يجد أن مواده محدودة بخلاف مبانيه الكثيرة جداً ، التي تنتمي الى الجذر نفسه . ولم يشذ القرآن عن ذلك ، فقد استخدم المواد اللغوية ، ونوع في مبانيها ، بغية الوصول إلى المعنى الأسنى من

بسم الله الرحمن الرحيم
الكلمة حدها مجموعة من الحروف الملفوظة، ينتجها جهاز نطقي خاص ، وهي مادة صوتية تقتضي وسطاً خارجياً تحرر من خلاله حتى تصل الى محل منفعل بها ، وبعدها وسيلة اتصال تخرج مستعملها من وحدته وفرادته الى ما به يتقوم وجوده وكيانه المتمثل بالضرورة الاجتماعية . وتتكون هذه العملية من أطراف مادية محسوسة تتمثل بالمرسل والمرسل اليه والرسالة ، لا يعني أن ننظر إليها نظرة كلية مستقلة ، لأن المذكور سالفاً هو العوارض والخصوصيات ، كالأصوات والحنجرة والوسط والسمع وغيرها ، لا المعنى الحقيقي الذي يعرف من غايته وهو الفهم والافهام . وفي هذا الشأن يقول العلامة المصطفوي : (ان الأصل الواحد في المادة : هو إبراز ما في الباطن من الأفكار والمعنويات ، بأي وسيلة كان) ^(١) ^(*) ومما لا شك فيه أن الحيثية المادية للغة ، وأعني بها الخصوصيات التي ترافقها ، والعوارض التي تشخصها ، والعوالم التي تتحرك بها ، توهم كثيراً من القراء الذين يتعاملون معها ، فيلجئون الى نصوصها وجملها بخزين معرفي يستند الى تجاربهم الضيقة وممارساتهم المحدودة ، ومن ثم تكون معطياتهم ناقصة ، وهذا ما حدا بالباحث أن يسلط الضوء على مادة لغوية من مواد النص القرآني مبنياً من جهة دور اللغة ، وخصوصاً لغة القرآن في التكاثر والنمو ، أي استعمال الأبنية المتعددة المترشحة من الأصل اللغوي ، وما تقدمه هذه الأبنية من دلالات متعددة على وفق المنظور القرآني ، ومن جهة أخرى يبين عمل القدرة الإلهية في إخراج هذا المعطى الصوتي - الذي ينتمي الى حيثية المادة - بنحو كاشف عن مكنونات عالم الغيب والشهادة على حد سواء .

فتطلق اللفظة ، وفيها إشارتان الى عالم الغيب وعالم المادة ، ومن ثم لا تقتصر الدائرة الكلامية على أبناء النوع الإنساني ، بل تتسع لتشمل الوجود الواجب والوجود الممكن قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ . إبراهيم / ١

تقرير حقائق كونية ، أو إثبات قضايا عقدية ، أو تبين أحكام شرعية ، فجاءت مباني هذه المادة على صور عدة يضمها حقلان دلاليان ، الأول هو حقل الأفعال بما له من مشخصات ولوازم ، والثاني حقل الأسماء ، والنسبة بينهما غير متكافئة ؛ لتضمن الأول جهات تصريفية كثيرة ، وإن كان الاختلاف في بعضها حاصلًا بالمعلوم وبالببناء للمجهول أو في تقبل العلم وغيرها فضلًا عن المعطى الدلالي الذي سيأتي لاحقًا .

- الحقل الفعلي :

عندما نلج الى الحقل الفعلي ، سنجد أن مادته تتحرك في أفق فسيح ، يغطي مساحة الوجود كلها ، وما ذلك إلا لأن القرآن يعطيها فاعلية في المنشآت الثلاثة ، فتظهر نسبتها في العالم المادي والعالم غير المادي بقسميه ، ولكن مع اختلاف في ظهور النوع والشخص والعدد ، ولا يخفى أن هذه النسبة إما أن يلاحظ فيها الحضور أو الخطاب أو الغيبة ، أو يلاحظ فيها بُعد التذكير والتأنيث أو يلاحظ فيها المفرد والمتنّى والجمع ، ولكل منهم خصوصيته ، التي تقتضي على وفقها المشيئة الإلهية نسبة هذا المفهوم إليه ، والسياق يكشف عن هذه الجهات والخصوصيات ، ومن الأمثلة القرآنية لنسبة هذا المفهوم إلى المادة :

١ - علم :

قال تعالى : ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ البقرة / ٢٣٥ .

﴿ فَأَنْفَجَرْتَ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ﴾ البقرة / ٦٠ . ﴿ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ النور / ٤١ . ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ﴾ الجاثية / ٩ .

في الآيات المتقدمة نجد أن البناء استعمل للغائب ولكن اختلف من جهتين : الأولى بالافراد والجمع ، ففي الأولى والرابعة استعمل للمفرد ، وفي الثانية والثالثة استعمل للجمع . والثانية في خصوصية العالم ، ففي الآية الأولى ، هو الله عز وجل المجرّد الواجب ، وفي الثانية والرابعة هو الإنسان ، وفي الثالثة هو الموجودات العاقلة وغير العاقلة

٢ - علمت :

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ . . ﴾ القصص / ٣٨ .

إن ظهور التاء المتصلة المضمومة تعطي تصورا آخر يتمثل بالحضور والافراد ، ولا يشترط فيه النسبة الى المذكر ، لأن التذكير هنا يقدمه السياق في الآية ، أي هو مفهوم من جهة الخطاب لا جهة المتكلم .

٣ - علمت :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ الصافات / ١٥٨ . ﴿ وَإِذَا الْجِنَّةُ أُرْفِتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا

أَحْضَرَتْ ﴾ التكموير / ١٤ . ﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ الانفطار / ٥ .

إن مجيء تاء الاتصال ساكنة يحدد جهة الخطاب بالغيبة والتأنيث ، ولا يشترط فيها الافراد ، فقد ينظر الى الجمع نظر الجماعة المؤنثة ، لكن يبقى الاختلاف كائنا في قيفة الجهة ، ففي الآية الأولى نسب المفهوم الى الجن ، وفي الثانية الى النفس ، وشتان بين الاثنين .

٤ - علمت :

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ ﴾ سورة هود / ٧٩ . ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا هُوَ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ سورة الانبياء / ٦٥ .

إن ظهور التاء المفتوحة مع البناء يعطيه خصوصية الخطاب والافراد والتذكير ، أي أن الكلام للمخاطب المفرد المذكر .

٥ - علمتم :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ سورة البقرة / ٦٥ . ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ سورة يوسف / ٨٩ .

إن اتصال المبنى بهذا الضمير ، يخصه بجماعة الذكور المخاطبين .

٦ - علمنا :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا ﴾ سورة يوسف / ٨١ . ﴿ مَا عَلَّمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ سورة يوسف / ٥١ . ﴿ قَدْ عَلَّمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ سورة ق / ٤ . ﴿ قَدْ عَلَّمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَرْوَاجِهِمْ ﴾ سورة الأحزاب / ٥٠ .

إن هذا الضمير يشير الى جماعة المتكلمين ، سواء أكانوا من الذكور أم من الاناث وقد تحدثت الآية الأولى عن جماعة الذكور ، والثانية عن جماعة الاناث ، أما الآيتان الثالثة والرابعة ، فقد تحدثتا عن المفرد (**) ، وهذا عدول عن النمط المألوف ، فجاءت في مورد الله عز وجل ، لتعطي معنى التفخيم والتعظيم في الاستعمال .

٧ - علموا :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴾ سورة البقرة / ١٠٢ . ﴿ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ ﴾ سورة القصص / ٧٥ .

استعمل هذا البناء مع الضمير لجماعة الغائبين الذكور ، واللافت للنظر أن هذا الضمير لم يأت في مورد الله عز وجل ، كالضمير السابق الدال على الجمع ، ولعل هذا يعود الى أن قوة التعبير مع الحضور أبلغ في التفخيم والتعظيم من الغيبة .

٨ - أعلم :

قال تعالى : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة / ١٠٢ . ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ سورة المائدة / ١١٦ . ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة يوسف / ٢٦ .

إن هذا المبنى يشير الى الحضور المعبر عنه بالضمير ((أنا)) ، والافراد ، سواء أكان المفرد الحاضر مذكرا أم

مؤنثا ، وإذا كان الاستعمال القرآني يؤثر المذكر في الاستعمال فهذا لا يعني سلبه عن المؤنث في غير القرآن

٩ - تعلم :

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ سورة البقرة / ١٠٦ . ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قَرَّةٍ أَعْيَنَ ﴾ سورة السجدة / ١٧ .

يستعمل هذا البناء في مورد المخاطب المذكر المفرد المعبر عنه بالضمير ((أنت)) .

١٠ - تعلمون :

قال تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة / ٢٢ . ﴿ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة / ٨٠ . ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ سورة الواقعة / ٧٦ .

يستعمل هذا البناء مع الضمير المتصل لجماعة المخاطبين الذكور .

١١ - نعلم :

قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ . . . ﴾ سورة البقرة / ١٤٣ . ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ سورة الكهف / ١٢ . ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ سورة الحجر / ٩٧ . ﴿ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة المائدة / ١١٣ . ﴿ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَانَاكُمْ ﴾ سورة آل عمران / ١٦٧ .

يستعمل هذا البناء في مورد جماعة المتكلمين أي : الحضور ، سواء أكانوا ذكورا أم إناثا ، وقد استعمل في مورد جماعة المتكلمين الذكور في آيتين فقط ، آية سورة المائدة وآية سورة آل عمران ، والآيات الأخرى استعملت في مورد الله عز وجل ، وهنا عدول عن النمط المألوف أيضا .

١٢ - يعلم :

قال تعالى : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾ سورة النحل / ٣٩ . ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ سورة الأنبياء / ٣٩ . ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ سورة البقرة / ٧٧ . ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ سورة البقرة / ٢٢ . ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ سورة آل عمران / ٧ . ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَارُ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارَ ﴾ سورة الرعد / ٤٢ .

يستعمل هذا البناء للمفرد المذكر الغائب ، وهو يتفق مع بناء علم من هذه الجهة لكنه يختلف عنه بالدلالة والزمن . وقد يستعمل للجمع أيضا كما في الآيتين الأولى والثانية ، وهو يختلف عن بناء يعلمون في الفاعل ، ففي الأول جاء اسما ظاهرا وفي الثاني ضميرا متصلا .

١٣ - يعلمون :

قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّافَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة / ١٣ . ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ الْأَرَامِيَّ ﴾ سورة البقرة / ٧٨ . ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سورة الروم / ٦ .

يستعمل هذا البناء في مورد جماعة الذكور الغائبين ، وهو يتفق من هذه الجهة مع بناء علموا .

١٤ - اعلم :

قال تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ سورة محمد / ١٩ . ﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ سورة البقرة / ٢٦٠ .

يستعمل هذا البناء في مورد المفرد المخاطب المذكر ، وهو يتفق من هذه الجهة مع بناء تعلم وعلمت ، ويختلف عنهما في الدلالة والزمن والأسلوب الذي ينتمي إليه .

١٥ - اعلموا :

قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ سورة البقرة / ١٩٤ . ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

سورة البقرة / ٢٣٥ . ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُخَيِّبُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ سورة الحديد / ١٧ .

يستعمل هذا البناء في مورد جماعة الذكور المخاطبين ، وهو يتحد مع بناء تعلمون وعلمتم من هذه الجهة ، ويختلف عنه من جهات أخرى .

وفي ضمن هذه الملاحظات استعمل الفعل المضارع المبني للمجهول (يُعْلَم) في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَضُرُّنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ . . . ﴾ سورة النور / ٣١ ، للمفرد المذكر الغائب ، وقد يدل على الجمع والسياق في السورة يساعد عليه واستعمل المضارع المزيد فعمل .

١ - علمتكم :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ ﴾ سورة المائدة / ١١٠ . والمبني للمفرد المذكر الحاضر .

٢ - علمتم :

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ ﴾ سورة المائدة / ٤ . والمبني لجماعة الذكور المخاطبين .

٣ - علمتكم :

قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ﴾ النساء / ١١٣ . ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكَ السِّحْرَ ﴾ سورة طه / ٧١ .

يستعمل هذا المبني للمفرد المذكر الغائب ، وقد استعمل الأول في مورد الله عز وجل والثاني في مورد الإنسان .

٤ - علمناه :

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَدُوْءٌ عَلِيمٌ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ . . . ﴾ سورة يوسف / ٦٨ . ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ سورة الكهف / ٦٥ .

يستعمل هذا البناء لجماعة الذكور المتكلمين ، وقد يستعمل لجماعة الإناث ، وهو في القرآن الكريم ، استعمل في مورد الله عز وجل .

٥ - تعلمن :

قال تعالى : ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي عِلْمًا . . . ﴾ الكهف / ٦٦ . استعمل هذا البناء للمفرد المذكر المخاطب .

٦ - تعلمون :

قال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلَّمُونَ . . . ﴾ سورة آل عمران / ٧٩ . ﴿ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ . . . ﴾ سورة الحجرات / ١٦ .

يستعمل هذا المبني لجماعة الذكور المخاطبين .

٧ - نعلم :

قال تعالى : ﴿ وَلِنَعْلَمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ سورة يوسف / ٢١ .

استعمل هذا البناء لجماعة المتكلمين ، سواء أكانوا ذكورا أم إناثا ، وفي القرآن الكريم لم يستعمل الا في مورد الله عز وجل ، وهو استعمال يشعر بالتعظيم .

٨ - يعلمان :

قال تعالى : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ سورة البقرة / ١٠٢ .

يستعمل هذا البناء للغائب المذكر المثني .

٩ - يعلم :

قال تعالى : ﴿ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ . . . ﴾
سورة البقرة / ١٥١ . ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾
سورة البقرة / ١٥١ . ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ سورة
البقرة / ٢٨٢ .

يستعمل هذا المبنى للمفرد المذكر الغائب ، وقد يستعمل في
غير القرآن الكريم للجمع ، إذا كان الفاعل اسماً صريحاً .

١٠ - يعلمون :

قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ . . . ﴾
سورة البقرة / ١٠٢ .

يستعمل هذا البناء لجماعة الذكور الغائبين . وفي ضمن
هذه السياقات استعمل المبنى للمجهول في آيات ثلاثة :

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمْتُمْ مَّا لَمْ تَعْلَمُوا . . . ﴾ سورة الأنعام
/ ٩١ . ﴿ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ مِمَّا عُلِّمْتُ رُشْدًا ﴾
سورة الكهف / ٦٦ . ﴿ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾ سورة النمل
/ ١٦ .

١١ - يتعلمون :

قال تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ
وَزَوْجِهِ ﴾ سورة البقرة / ١٠٢ . ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ
وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ سورة البقرة / ١٠٢ .

وقد استعمل هذا البناء المزيد بحرفين لجماعة الذكور
الغائبين .

ومما تقدم يتبين أن القرآن استعمل من هذه المادة الفعل
المجرد ، بأقسامه الثلاثة ، والمزيد بحرف ، والمزيد بحرفين
، وقد تواردت عليهما مقولات صرفية محددة ، فلم يستعمل
المثنى المذكر الغائب ((يَعْلَمَانِ)) ، والمثنى المذكر
المخاطب ((تَعْلَمَانِ)) من الفعل المضارع ، ولا من الفعل
الماضي ((علما)) و ((علمتما)) ، ولا من فعل الأمر ((
اعلما)) . ولم يأت هذا البناء مع المونث إلا في مورد
واحد ، وهو الجمع الذي يشترك فيه جماعة الذكور
والإناث ((علمنا)) .

ولعل السر في الأول أن البيانات القرآنية لا تسلط الضوء
على شخصين يشتركان بالحدث نفسه ، وخصوصاً في

مفهوم العلم ، بل يتناول الشخصية المفردة من حيث
خطرها وأهميتها كالأنبياء مثلاً أو ذكر المتمردين فرعون
وغيره أو الجماعة الذين هم أهل للمدح والثناء كالراسخين
في العلم أو الذين يشهدون لله بالإلوهية ، والذين هم في
منأى من ذلك كالذين لا يعلمون . نعم ، قد يحتاج السياق
إلى ذكر الاثنين معاً كما في سورة البقرة وقصة هارون
وماروت ، فلما كان السبب في تعليم الناس

السحر ، وما أفضى هذا التعليم من افتتان الناس ، صرح
بنسبة التعليم إليهما ، وصورة المبنى تختلف كما ترى .

والسر في الثاني مرجعه خصوصية العلم والمعلوم ، فليس
لهذا المفهوم المجرد شأن كبير - من حيث المعطيات
القرآنية - في وجود المرأة ؛ لأن الله عز وجل قد ركبها
تركيباً أنثوياً ، وأعطاه وظائف ملائمة تنسجم وطبيعتها ،
فلا غرو أن يكون الجانب العاطفي فيها يغلب على غيره ،
وفي حرمانها بعض الوظائف الإلهية المهمة كالخلافة
والرسالة والقضاء والرياسة ، وغيرها من الأمور التي
تتطلب حزمًا وتعقلاً كبيرين ، تأكيد لذلك . ومن جهة
أخرى فإن متعلق العلم تارة يكون مرتبطاً بطبيعة الإنسان

المادية ، وما يحتاج إليه في تقويم حياته ، وتارة يكون
أمراً عقدياً أو أخلاقياً أو قانونياً ، وفي كلا الأمرين
تختلف النظرة القرآنية ، ففي الأول تغيب النظرة القرآنية ،
أو يكون تسليط الضوء عليها هامشياً ؛ لأن فطرة التكوين
تقتضي ذلك ، وفي الثاني تصبح النظرة القرآنية مهمة ؛
لأنه يصبح جزءاً من منظومة الإنسان والمجتمع في
الإصلاح والتربية ، وليس سوى الرجال من يقوم بهذا
العمل التغييري في سبيل غرس القيم وانتاج المودة
والمحبة والوئام ، والمرأة في ذلك تقع تحت ولاية الرجل (
الزوج) وقد يكون لها دور ثانوي في العمل والإصلاح ،
لذلك لم تكن الموضوع الأساسي للقرآن إلا في موارد تكون
النظرة إليها باستقلال مثل خيانة بعض نساء الأنبياء ،
وقصة امرأة العزيز وغيرها ، فضلاً عن خصوصياتها
كالطلاق والرضاعة والإرث .

وقد قل استعمال المضعف ، وهذا الأمر طبعي ، لأنه
مما يقتضي طرفين معلم ومتعلم ، وقد حصل التعليم في
الغالب من الله عز وجل أو من هو متعلم من الله إلى
المقربين منه كالأنبياء والمرسلين والأولياء ، أو المتعلمين
من المقربين ، وفيما عدا ذلك أسند التعليم إلى الشياطين
كما في سورة البقرة وأسند إلى الأعراب على نحو التوبيخ
لهم عندما قالوا : (امنا) كما في سورة الحجرات . وأقل
من ذلك الاستعمال المبنى للمجهول في أربع آيات .

- الحقل الاسمي :

إن تشكيل البناء الاسمي من الجذر (ع ل م) أقل في
الاستعمال من البناء الفعلي في القرآن الكريم ، ومن هذه
الأبنية :

١ - عالم :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
سورة فاطر / ٣٨ . ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾ سورة الزمر / ٤٦ .

إن هذا البناء هو اسم الفاعل المشتق من الثلاثي المجرد
((علم)) وهو لم يستعمل في غير مورد الله عز وجل .

٢ - عالمون :

قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا
الْعَالِمُونَ ﴾ العنكبوت / ٤٣ . ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ
مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ سورة الأنبياء / ٥١ . ﴿ وَكُنَّا
بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ سورة الأنبياء / ٨١ .

يستعمل هذا البناء مع اللاحقة (ي ن) أو (و ن) لجمع
المذكر العاقل كما في الآية الأولى . وقد يخرج هذا الأمر
عن رتافته ، فيستعمل في مورد الله عز وجل ، كما في
الآيتين الثانية والثالثة .

٣ - علماء :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ سورة
فاطر / ٢٨ . ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي
إِسْرَائِيلَ ﴾ سورة الشعراء / ١٩٧ .

يتغير هذا البناء عن سابقه ، وإن كان الاثنان لجمع المذكر
العاقل ، في الدلالة والأسلوب ، إذ يحتاج الأول إلى متعلق
كما في الآيات المتقدمة ، ولا يحتاج الثاني إليه .

٤ - معلوم :

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِهِ إِلَّا نَحْنُ كِتَابٌ مُغْلُومٌ ﴾
سورة الحجر / ٤ . ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ سورة

إذا كان الزمان فرعاً للحركة ، ولازماً من لوازمها ، فمن المحال أن يتحقق زمان من دون حركة ؛ لأن الحركة تعني التغيير التدريجي^(٣) ، وهذا يعني أن الزمن المفهوم من تلبس الصيغ الفعلية مترتب على ما لها من حدث، وتغير تدريجي ، وهما متلازمان .

وقد أشار ابن يعيش الى هذا بقوله :

" لما كانت الأفعال مساوقة للزمان والزمان من مقومات الأفعال توجد عند وجوده وتتعدم عند عدمه ، انقسمت بأقسام الزمان " (٤) .

وقد جعل د . إبراهيم السامرائي إعراب الفعل عن الزمان أمراً بديهياً^(٥) .

إذاً ، ما تفرزه لنا الدراسات اللغوية والبلاغية من دلالة الفعل على الحدث والتجدد أمرٌ مؤكدٌ وصريح .

ولكن قبل البدء - قد تبرز لنا مشكلة مفادها :

إن التغيير والتدرج والزمن الذي يرافقها يفهم من نظام العالم المادي ، أما الموجودات غير المادية ، فليس لها ذلك . ومن ثم فالأحرى بالمحلل أن تكون حركته ونبذة لمعالجة البيانات القرآنية ، لأنها في الغالب تكسر النسق المعرفي الرتيب ، وستتبدد المشكلة إذا ما علمنا أن الالبسة اللفظية طارئة على الحقيقة القرآنية العالية النازلة من عالم الغيب ، وانها - لفرط تجردها - تضيق بها العبارة فتظهر فكرة التشابه والتأويل التي يجد معها القارئ عتناً شديداً لفهمها وتقبلها . . .

أ . فعل ودلالته

قال تعالى : ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ ﴾ هود / ٧٩ . ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ . . . ﴾ القصص / ٣٨ . ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ الصافات / ١٥٨ . ﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ . . . ﴾ الانفطار / ٥ . ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَهُمْ أَنْفُسَكُمْ . . . ﴾ البقرة / ١٨٧ . ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ الانفال / ٦٦ .

الأمثلة المتقدمة صورتها البنائية (فعل) التي تدل في عرف اللغويين والنحاة - على الحدث والزمن الماضي ، ولكننا لا نستطيع أن نقسر هذين الأمرين على المفردة القرآنية ؛ لأن للمنتج شأنه ، وللموضوع خصوصياته ، وللمقام أحواله ، وما تقدم من الآيات لا تجري على سمات واحد ، ولا تقع على نمط لازم ، بل هي آيات روعي فيها البعد الغيبي المجرد والبعد المادي المشهود .

فالآية الأولى تدل على الحدث المقترن في الذاكرة الماضية الحاصل لنبي الله لوط (ع) ، وحصول العلم للبنى يرجع الى الزمن الماضي أثر السلوك المنحرف غير القويم الذي اتخذه هؤلاء القوم .

والآية الثانية تنبئ عن نشاط فرعون في استخفاف عقول قومه منذ القدم ، فليس هذا الحدث وليد لحظة الحال ، بل هو بذرة غرست في زمن غابر ، تعارف عليها أبائهم وأجدادهم ، لذلك أرجع هذا الحدث (المعتقد) الى أصول قديمة ، وكأنه حدث مسلم به ، تنزعز معتقدات من أنكره أو رفضه .

وإذا ما انتقلنا الى الآية الثالثة ، فس نجد أن الآية تتحدث عن قول المشركين في جعل النسب بين الله وبين الجنة ،

الحجر / ٢١ . ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَاهٌ مَقَامَ مَعْلُومٍ ﴾ سورة الصافات / ١٦٤ .

معلوم صيغتها مفعول ، وهو اسم مفعول مشتق من الثلاثي ، وهي تستعمل للمفرد المذكر .

٥ - معلومات :

قال تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ سورة البقرة / ١٩٧ . . . ﴿ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ﴾ سورة الحج / ٢٨

معلومات هي جمع مؤنث سالم لاسم المفعول معلومة المأخوذة من الجذر الثلاثي .

٦ - مُعَلِّم :

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَجْنُونٌ ﴾ سورة الدخان / ١٤ .

إن هذا البناء هو اسم المفعول المأخوذ من الثلاثي المضاعف علم ، وهو للمفرد المذكر .

٧ - أعلم :

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ . . . ﴾ سورة البقرة / ١٤٠ . ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾ سورة الكهف / ٢٦

﴿ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ . . . ﴾ سورة الإسراء / ٤٧ . ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ﴾ سورة العنكبوت / ٣٢ .

أعلم من أبنية المشتقات المأخوذة من الثلاثي ، وهو اسم تفضيل يستعمل مع المفرد والجمع^(٦) في القرآن الكريم ، سواء أكان في مورد الملائكة كما في الآية الأخيرة أم في مورد الله عز وجل كما في الآيتين الثانية والثالثة .

٨ - علم :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عِلْمٌ ﴾ سورة البقرة / ١١٥ . ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴾ سورة يوسف / ٥٥ . ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ

عليهم سورة الحجر / ٥٣ . ﴿ قَالَ لِلْمَلِكِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ سورة الشعراء / ٣٤ .

إن هذا البناء من صيغ المبالغة المأخوذ من الفعل الثلاثي علم ، وهو يستعمل للمفرد والمذكر ، وقد يطلق على غير الله عز وجل كما في الآيات المتقدمة .

٩ - علام :

قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ سورة المائدة / ١٠٩ . ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ سورة التوبة / ٧٨ .

يتحد هذا البناء مع البناء السابق في الاشتقاق لكن يختلف عنه في البناء وشدة المبالغة وعدم إطلاقه - في القرآن - على غير الله عز وجل .

١٠ - العلم :

قال تعالى : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ . . . ﴾ سورة آل عمران / ٧ . ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ الظَّنِّ ﴾ سورة النساء / ١٥٧ . ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ سورة النمل / ٤٠ .

إن هذا البناء هو اسم معنى مأخوذ من الجذر الثلاثي (علم) . وهناك مبان لم نذكرها في البحث ، لأنها خارجة عن حيز هذا المفهوم .

المحور الثاني

دلالة الأبنية

١ - الأبنية الفعلية :

وهي أحداث غابرة وقعت في زمن ماضٍ ، والجنة متيقنة من حضور المشركين (أصحاب هذا القول) النار ^(١) . والتعبير بالفعل الماضي مع تيقنهم يكشف عن جمال الاختيار ودقة التعبير ، لأنه يصبح عندئذ بمنزلة الكائن لا محالة ، ولا يخفى أن هذا لا يكون إلا إذا كان المعلوم مشهوداً ، وإذا ما تلبس هذا المشهود ثوب الحدث الدال على الزمن الماضي ، زاد التيقن والتأكيد والمبالغة في بطلان قول هؤلاء المشركين .

ولا تختلف الآية الرابعة كثيراً عن الآية السابقة ؛ لأن موضوعها هو يوم القيامة ، وما يحدث فيه من أهوال ومصاعب ومحن ، ولما كان الارتباط بين الحياتين وثيقاً جداً ، وأن الأعمال التي تنجز في الأولى سيكون لها رصيد من الوثاقفة في الآخرة ، استدعى الحديث آنذاك أن يستحضر كل الأعمال التي كانت غائبة في ذاكرة الحياة الأولى ، في الحياة الثانية ؛ من أجل أن تقف كل نفس على ما عملت من خير أو شر .

وبذلك يقرب القرآن المطلب ويقرره في ذهن السامع أكثر عندما عبر عن الحدث في تلك النشأة بالزمن الماضي ، لأنه سينتقل بالمتلقي إلى الزمن المنصرم للحدث ، وهذا يعني أن الحدث وقع وتحقق لكي يتم توجيه ذهنه إليه ، وفي هذه الآية يقول الطاهر بن عاشور : " ومعنى (علمت نفس ما أحضرت) حصول اليقين بما لم يكن لها به علم من حقائق الأعمال التي كان عملها بها أشتاتاً ، بعضه معلوم على غير وجهه ، وبعضه معلوم صورته

مجهول عواقبه ، وبعضه مغفول عنه . فنزل العلم الذي كان حاصلًا للناس في الحياة الدنيا منزلة عدم العلم . وأثبت العلم لهم في ذلك اليوم علم أعمالهم من خير أو شر فيعلم ما لم يكن له به علم عما يحقره من أعماله ويتذكر ما كان قد علمه من قبل ، وتذكر المنسي والمغفول عنه نوع من العلم " ^(٧) .

ولا يخفى أن تقرير العلم بهذا النحو يدل على شرافته ، وعلو تلك النشأة ، وخصوصاً عندما أسند العلم إلى النفس ، لأن النفوس كلها - هناك - تصبح مدركة عالمة ، لا يخفى عليها شيء مما كان في الحياة الدنيا ، فكل موانع العلم ، وحجب المادة ، والتحويلات والتغيرات تتلاشى وتندثر ، وتتجلى الحقيقة واضحة بيّنة .

ولو توسعت الخطى ، ودقق النظر ، لوجدنا أنفسنا أمام مفارقة كبيرة في الأحداث التي تعطيها الأبنية ، وخصوصاً الآيتين الأخيرتين ؛ لأن تعاملنا مع عالم الألفاظ شيء ، وما عليه الهوية الغيبية شيء آخر ، لا ينسجم كلياً مع ما تصوره لنا مجموعة حروف منتظمة تنشأ بدافع الحاجة .

وليس من المستبعد أن يطلق العنان للخيال في تصور مفهوم العلم ، واتصاف الهوية الغيبية به من منظور مادي - تغيب الأشياء وتجهل ، ثم يدرك بعد تتبع وممارسة - فيقال : أ الله علم كعلمنا أم أن له علماً يغير علمنا ؟ وهل يصح نسبة هذا الحدث إليه ؟

أي انه يعلم فيما مضى ، أو انه لم يعلم ثم علم . وهل يصح الزمان الماضي والحال والمستقبل بالنسبة إليه ؟ وإذا كان الزمان من خلقه ، فلماذا يتلبس البناء هذه الصورة .

إن الآية التي تقيد الحدث في الزمن الماضي في موضوع الصوم ، ينظر إليه من جهة العلم الإلهي المطلق الذي لا يعزب عنه شيء ، ولما كان الخطاب موجهاً إلى هذه الشريحة التي حصل لها تلك في أداء الواجبات ، أيقظ غفوتهم بالإشارة إلى أن ما طمحت به أنفسهم وتغيرت به حالهم كان في علم أزلي محفوظ ، فكان ظهور الحدث من هذه الجهة مرتبط بالماضي .

أما بناء هذا الحدث في سورة الأنفال فلا يختلف ، من حيث الاستعمال عما سبق ، ولكن لما كان اقتتران الظرف الدال على الحال مع الحدث الماضي للبناء الفعلي في مجال تشريحي ^(٨) أو تربوي قريب من التشريح ^(٩) ، أخذ بعداً عقائدياً ، وبمعنى ، أيكون علم الله حادثاً بعد ظهور ضعف المؤمنين أم إن علم الله أزلي بضعف هؤلاء .

إن تحريض المؤمنين على القتال ، والضعف الذي أشرب في قلوبهم بعد المزاولة والتحقيق هو في عين العلم الإلهي الذي لا يغيب عنه شيء .

ولما كان الملاك هو معرفة ما تظهر عليه النفس الإنسانية من نوازع وميول ومؤثرات في عالم الفعل بعد المزاولة ، اقتضى أن يكون العلم في هذه الآية منظوراً إليه من لحاظ الفعل لا من لحاظ الذات ، ولا يخفى أن الإنسان وما يوديه في هذا الكون الفسيح من ظواهر ، هو فعل الله المتقن الذي لا تفاوت فيه ، وليس من المستبعد أن يكون لهذا الفعل ، وهو يتغير على الدوام ،

علمه الخاص به ؛ لمصالح تقتضي ذلك ، وفي الآية المتقدمة تغيرت حالة المؤمنين ، وظهرت فيهم النوازع ، وتحكمت فيها المؤثرات ، فتبين علم لهذا الفعل ، لم يكن ظاهراً في عالم الفعل الإلهي بعد ، أي : تفصيلاً ، وفي هذا يقول كمال الحيدري : " أن مثل هذا العلم لا يمكن أن يكون ذاتياً لأنه حادث ، والعلم الذاتي عين الذات قديم

بقدمها " ^(١٠) ولم يرتض ابن عاشور ذلك ، فعد العلم هنا ، علماً ذاتياً ، والجملة حالية ، لكي لا يلزمه العطف حدوث العلم الإلهي ^(١١) ، وقد ذكر الرازي مسلك المتكلمين في توجيه الآية القرآنية ، وهو " انه تعالى قبل حدوث الشيء لا يعلمه حاصلًا واقعا ، بل يعلم منه انه سيحدث ، أما عند حدوثه ووقوعه فانه يعلمه حادثاً واقعا " ^(١٢) .

أما ذيل كلام المتكلمين فيكشف عن العلم الفعلي ؛ لأن هذا النوع من العلم لا يكون إلا بعد تحقق المعلوم خارجاً ، وهو عين ما ذكر في العلم الفعلي لله عز وجل .

ب . يفعل ودلالته

بعد أن ذكرنا الفعل الماضي ، أي بناء فعل ، نأخذ البناء الآخر للفعل المسمى بالمضارع ونبين ما يعطيه من دلالات ومعان .

قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي أَكْبَرُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة / ٣٠ . ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً ﴾ سورة النحل / ٧٨ . ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ سورة الأنعام / ٥٩ . ﴿ أَتَنْتَبِهُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾ سورة يونس / ١٨ . ﴿ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ ﴾ . ﴿ سَورَةُ مُحَمَّدٍ / ٣١ . ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعْلَمَ ﴾ سورة البقرة / ١٤٣ .

في الآيات المتقدمة البناء الفعلي الثاني الذي يحمل معنى الحدث والزمن الحاضر ما لم تصرفه القرائن الخارجية

والداخلية ، وهو يختلف دلالياً بحسب طبيعة السياق والأسلوب الذي يتشكل معه .
ففي المجموعة الأولى انضم الحدث مع أسلوب النفي ، ليدل على أن هذا الحدث المرتبط غير ثابت للذات ، والمنفي بطبيعته - يتفاوت بحسب استعمال الأداة ، ومن ثم يتغير معنى الحدث تبعاً للأداة على النحو الآتي :
يخاطب الله ملائكته - بعد أن قدموا مقترحاً بشأن الخلافة ، يتضمن المقارنة بين من يصدر منه الفساد ، وسفك الدماء ، وبين من يصدر منه التسبيح والتقديس - وينفي عنهم العلم (حدث المبني) الباعث على المقترح والداعي إلى المفاضلة . . . وقد ظهر النفي بالأداة ((لا)) التي تصلح للمستقبل (١٢) ومطلق الزمن (١٤) ، سواء أكان للماضي أم للحاضر أم للمستقبل ، فقيدت الحدث تبعاً لمقتضى السياق بالزمن العرفي الذي يظهر بالماضي والحاضر والمستقبل . ويتلبس بالبناء اللفظي ، وهذا يعني إن التعامل مع المجرد لا يكون إلا بالتمثيل اللفظي والتقريب الذهني ، لبعده الرتبة المجردة من المتعلقين بالمادة المتحركين في ظرفها ، فلا غرو ، إذاً ، من تمثيل المحاورة تمثيلاً ، فجعل العلم المنفي من الملائكة يتجدد ويستمر ، لأن التفاوت قائم ، بل ليس له

وجه ، وأنى للملائكة أن تعلم شيئاً باستقلال نفسها وإعمال أدواتها . . إن علمها فيض من حكيم ، ورشحة من عليم .

وفي الآية الثانية استعمل البناء ((تفعلون)) المنفي بالأداة ((لا)) ليدل على أن حدث هذا البناء منصرف عنهم كلياً ، وليس لهم سبيل إلا بالجعل الإلهي للأدوات المعدة ، والوسائل المهيأة التي يتدرج معها الحدث شيئاً فشيئاً . والحدث المنفي هنا هو الاكتسابي لا الإلهامي أو اللدني .

وفي الآية الثالثة اقترن الحدث بالأسلوب المركب من الأدوات ((لا و الا)) ليفيد معنى التأكيد وانحصار العلم به عز وجل .

وفي الآية الرابعة اقترن الحدث المنسوب إلى الله عز وجل بأداة النفي ((لا)) ، ليصرف الحدث نفسه عن الله عز وجل على نحو الإطلاق الذي يشمل الماضي والحاضر والمستقبل ، وقد جاء هذا النفي من كلام الله عز وجل في سياق ادعاء المشركين شفاعاة الآلهة - التي يعبدونها - عند الله .

والمبتدأ إلى الذهن من ظهور الآية أن هناك موارد لا يتعلق بها علم الله عز وجل ، ومنها ما أكدته هذه الآية ، لكن نفي الحدث هنا يدور مدار الوجود ، فلو كان موجوداً لعلمه الله ، ولكنه ادعاء محض واقتراء ، فما لا يعلمه الله لا تحقق له ولم يتعلق به علم (١٥) .

وقد خرج بعض الاعلام على نحو الكناية عندما قال : " نفي العلم بوجود الشفاعة كناية عن نفي وجودها " (١٦) ، وذكر أيضاً : " إن الشفاعاة إنما تتحقق إذا كان المشفوع عنده عالماً بوجود الشافع وشفاعته فإذا فرض أنه لا يعلم بالشفاعة فكيف تتحقق الشفاعاة عنده وهو لا يعلم " (١٧) .

وإذا ما انتقلنا إلى الآيتين الأخيرتين ، فإننا نجد المبني المستعمل فيها يدل بصورته على الزمن الحاضر ، ولكن نصب الفعل مع لام الجر التي تضمحل معها ((أن)) صرفه

للمستقبل ، والحدث الذي يعطيه المبني يكشف عن تعلق العلم بالمتغير ، وتوقف العلم على تحقق المعلوم في الواقع الخارجي ، وهو غير العلم الذاتي الذي يتعلق بكل شيء . ولما كان الفعل متغيراً ، وقد تعلق به ، أصبح العلم - هنا - فعلياً ، لأنه متوقف على تحقق الأفعال الخارجية .

وقد علق السيد المرتضى العلم على الوجود ؛ لأن قبل وجود الجهاد لا يعلم الجهاد موجوداً ، وإنما يعلم كذلك بعد حصوله (١٨) ، وعده أبو السعود علماً فعلياً يتعلق به الجزاء (١٩) .

وقد أصر الطباطبائي على أن المراد بالعلم هنا العلم الفعلي " وهو ظهور الشيء وحضوره بوجوده الخاص عند الله " (٢٠) .

ومن المفسرين من حملها على المجاز (٢١) أو الظهور (٢٢) وفي الآية الأخرى يقول الزجاج : " إن الله يعلم من يتبع الرسل ممن لا يتبعه من قبل وقوعه وذلك العلم لا تجب به مجازاة في ثواب ولا عقاب ، ولكن المعنى ليعلم ذلك

منهم شهادة فيقع عليهم بذلك العلم اسم مطيعين واسم عاصين فيجب ثوابهم على قدر عملهم ويكون معلوم ما في حال وقوع الفعل منهم علم شهادة كما قال عز وجل : (عالم الغيب والشهادة) فعلمه به قبل وقوعه علم غيب ، وعلمه به في حال وقوعه شهادة ، وكل ما علمه الله شهادة فقد كان معلوماً عنده غيباً لأنه يعلمه قبل كونه (٢٣) .

وهذا الكلام يكشف عن نحويين من العلم ، الأول يحيط بكل شيء ، وهو المسمى بالذاتي ، والثاني لا يحيط بكل شيء ، بل يتعلق بوقوع الأشياء مما يترتب عليه ثواب أو عقاب . ولم يختلف توجيه الآية عند الطباطبائي عن الآية السابقة ، فقد عده علماً فعلياً (٢٤) في حين ذكر المفسرون (٢٥) أوجهاً عدة خشية أن ينصرف الذهن إلى حدوث العلم ، ولم يذكروا العلم الفعلي حتى الطاهر بن عاشور (٢٦) على الرغم من جعله متعلقاً بوقوع الشيء ، أي تعلق العلم بوقوع الشيء الخارجي ، لم يعده علماً فعلياً في مقابل العلم الذاتي ، وهو شاهد على أن هذا النحو من العلم يختلف عن كثير مما في الأديان التي تنسب العلم إلى الله عز وجل ، لأنه يتعلق بوقوع الأشياء . والذي يبدو لي أن ظهور جملة من الآيات صريحة في نسبة العلم إلى الله عز وجل بصورة بناء فعلي يتوقف زمن تحققه على وقوع الشيء الخارجي ، يجعله قسماً آخر من العلم ، والاختلاف بينهما كائن في مقام الذات والفعل ، فالذي يتعلق بالفعل بعد وقوعه هو دون العلم الذاتي الذي لا يعزب عنه شيء ، ولا بينونة بين العلمين ؛ لأن الثاني يتعلق بفعل الله الذي هو مخلوق له ، والأول هو علم الله على الإطلاق ، ولا يخفى إن ارتباط العلم بالواقع الخارجي غير خارج عن العلم الإلهي المطلق ، وفي هذا يقول كمال الحيدري : " كان علم الله بالأزل بنحو يريد (سبحانه) أن يرى ذلك العلم ومعلومه في الواقع العيني ، عبر الانتقال من عالم العلم الإلهي إلى عالم العين الخارجي . وبذلك سوف يكون هذا الواقع الخارجي هو معلوم ذلك العلم الذي هو عين الذات " (٢٧) .

والزمن ليس هو الحاضر ، بل يتوقف تحديده على تحقق الفعل في الخارج .

البناء المضعف :

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ سورة يوسف / ١٠١ . ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ﴾ سورة النساء / ١١٣ . ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ سورة الكهف / ٦٥ . ﴿ وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة / ١٥١ . ﴿ وَيَتَعْلَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ سورة البقرة / ١٠٢ .

المبنى في الآيات المتقدمة على اختلاف صوره مضعف ، وهو لا يفيد التكثير - كما ذهب الجوهرى (٢٨) - بل استعمل للتعدية ، وهو أن يجعل الفاعل مع مبنى الحدث الأصلي منفعلاً من فاعل آخر ، وقد يكون هذا الفاعل الله أو الرسول ، وفي بعضها الشياطين ويأجوج ومأجوج .

جاء البناء في الآية الأولى بصيغة الماضي الدال على الزمن الماضي ، لأن الحديث فيها عن الشكر والثناء للنعمة التي أنعمها عليه الله عز وجل ، فيما سلف ، وما يميز حدث التعليم عن غيره انه غني عن التجربة ، بعيد عن الممارسة التي تحتاج الى النظر والاستدلال ، لا يحتاج سوى صفاء النفس ، وطهارة الروح . أي الاستعداد لتقبل التعليم الإلهي مباشرة .

وفي الآية الثانية استعمل المبنى نفسه الدال على الحدث الماضي ، ليقدم معطى إلهياً خاصاً ، وهبة ربانية مميزة ، ليس من شأنه الاتصاف بها بالادوات المألوفة والوسائل المعرفة بالنظر والاستدلال . انه علم من سنخ آخر كما يقول الطباطبائي (٢٩) ، يكون بنحو من الإلقاء في القلب والإلهام الخفي . .

وإذا ما انتقلنا الى الآية الثالثة فسنجد أن الحدث الذي أظهره المبنى المضعف بصيغة الماضي يدل على أن الفاعل حقيقته منفعلاً لفاعل أكمل وأشد ، فإذا كان الفاعل الابتدائي لحدث الفعل غير المضعف قد اكتسب بالأسباب ، فإنه بالتضعيف قد اكتسب بمسبب الأسباب ، فأضحى التباين بين الاثنين واضحاً ، وفي هذا يقول السيد الطباطبائي : " وأما قوله { وعلمناه من لدنا علماً } فهو كالرحمة التي من عنده علم لا صنع للأسباب العادية كالحس والفكر حتى يحصل من طريق الاكتساب والدليل على ذلك قوله ((من لدنا)) فهو علم وهبي غير اكتساب يختص به أوليائه " (٣٠) .

والآية الرابعة استعملت الحدث المتجدد حيناً بعد حين ((يعلمكم)) ليدل على أن علمهم الذي توافرت عليه عقولهم وأيقنت به قلوبهم لم يكن شيئاً ، لولا تدخل الفاعل المربي (الرسول الأكرم (II) في تعديل مسارهم وجهتهم وأفاق رؤيتهم ، فأصبحوا بعلمه معلمين لأجل الحقائق ، وأنفع المعارف التي فيها سعادتهم الحققة عما تقتضيها طبيعتهم التي جبلوا عليها من حب الكمال الموصل الى المطلوب وهو الظفر بالحياة السرمدية بجنب الله عز وجل .

وقد جاء متعلق العلم ، هنا ، القرآن بعده كتاب شريعة واصل الفضائل المنيرة من الوقوع في الخطأ ؛ فضلاً عما هو أعم من ذلك مما لم تكونوا تعلمونه (٣١) وبالجمله هي العلوم النافعة التي تعطي آثارها من الظفر بعيش رغيد

وحياة هنيئة لا صخب فيها ولا وصب ، والفرح بقاء الله عز وجل . والتعليم هنا أي الحدث يستمر ويتجدد ما دام الفاعل موجوداً وهو شخص الرسول ، ولا يخفى أن هذا النحو من العلم يختلف عما سبق ، لاختلاف أطرافه وتفاوت المستويات .

وفي الآية الأخيرة جاء المبنى على صورة المضعف المزيد بالثناء ، ليدل على بذل الجهد والطاقة في تحصيل الفعل على نحو التجدد ، مرة بعد مرة لنيله وإتقانه ، ونيل أصل الفعل بعد مزاولة واجتهاد يحتاج الى سعي وزمان ، ومن ثم فهو يختلف عن مبنى الحدث في الآيتين المتقدمتين ، لأنه هناك يؤتى من لدن الله ، وهنا يقصد منهله ويتبع مصدره ، ولا يخفى أن النتائج المترتبة على الاثنين تختلف كلياً ، إذ إن الأخير يحتمل فيه الخطأ

والاشتباه والضرر والفساد بخلاف الأول الذي يكون نورانياً رحمانياً لا يتخلف عن معلومة ولا يختلف ولا يلحقه الخطأ ولا يطرأ عليه الاشتباه . .

جـ - بناء أفعل

قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ سورة البقرة / ١٩٤ . ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ سورة البقرة / ٢٣١ . ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ ﴾ سورة الحديد / ٢٠ .

إن هذا البناء يستعمل ويراد به طلب حصول الفعل من المخاطب ، وهو يختلف عن الأبنية المتقدمة في الزمن والأسلوب ، والدلالة ، فزمنه متوقف على الانجاز ، وأسلوبه للطلب لا للإخبار ، ودلالته للوجوب أو مطلق الامتثال . والمتأمل من الآيات يجد أن لهذا البناء مزية فريدة ، لأنه طلب للعلم والتبصر في ميادين شتى ، ففي الآية يطلب من المخاطب العلم بكون الله مع المتقين ، والطلب ليس لمجرد التوجيه ، بل هو وسيلة للتقوى ، لذا لا يترتب على امتثالهم قيمة إذا لم يكن العلم جالباً للتقوى .

وفي الآية الثانية يطلب من المخاطب أن يعلم علماً واقعياً يترتب عليه الأثر ، (إن الله محيط بكل شيء) والعلم بهذا المعلوم يحتاج الحضور في ساحة الله وحضرته ، حتى يتيقن أن الله مطلع على بواطن الأمور ولطائفها .

وفي الآية الثالثة يدعو المخاطب دعوة فعلية لأن يعلم الحقيقة من الوهم والخيال ، فليس الحياة في هذه النشأة إلا دانية محفوفة بالشهوات والمكدرات التي تحبس النفس بعقال اللهو واللعب . وإذا ما علم المخاطب بحقيقة الحياة الدنيا ، امتثل أمر الله عز وجل بالعلم ، وأصبح من المنتفعين بعلمهم ، لأن من علم عمل ومن عمل وصل . .

٢ - الأبنية الاسمية:

إن بناء الاسم يختلف عن بناء الفعل من حيث الدلالة والزمن ، فإذا كان الفعل يتقيد بالآزمنة الثلاثة لذاته نسبة الى الحدث الذي ينجز أو المراد انجازه ، فإن الاسم عري من ذلك .

يقول عبد القاهر : " إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدد شيئاً بعد شيء ، وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء " (٣٢) .

هذا الاسم في القرآن إلا مضافاً، والمضاف إليه ظهر بثلاث صور :

الأولى مع الغيب في سورتي سبأ والجن ، والثانية مع الغيب والشهادة في عشر آيات ، والثالثة مع غيب السموات والأرض في سورة فاطر ، وما ذلك إلا لاقتضاء المقام ، وهو إحاطة الاسم بجميع المعلومات ، سواء أكانت غائبة مستورة أم ظاهرة مشهودة . يقول الطاهر بن عاشور : " ولا تخرج الموجودات عن الاتصاف بهذين الوصفين ، فكأنه قيل : العالم بأحوال جميع الموجودات " (٣٨) .

وبتدقيق أكثر نقول : إن اقتران المبنى بالغيب دون الشهادة مرجعه اهتمام السورة ببيان أمر البعث أكثر من غيره ، فتذكر المنكرين للساعة وتأمّر النبي بالرد عليهم (٣٩) .

وليس يوم القيامة ، وما تجري فيه من أحداث مما تدركه عقولهم ، أو تعلمه نفوسهم حتى يكون محلاً لإنكارهم . . إن العلم مختص بالمالك الحقيقي الذي بيده كل شيء ، وقد ناسب استعمال الاسم مضافاً الى الغيب من جهة إنكارهم للغيب والبعث . وإضافته في سورة الجن من دواعي السياق أيضاً ، فالحديث فيها عن المستور عن نشأتهم الغائب عن عقولهم ، وهو يوم القيامة ، وما فيه من نار تلتف وجوه العاصين لله ورسوله ، وليس لتحقق هذا العلم يوم معلوم في القاموس المعرفي سوى عالم الغيب وحده .

وتقيد الغيب بالسموات والأرض دون مطلق الغيب في سورة فاطر ، فلأن السموات والأرض من الظواهر المألوفة لدى هؤلاء المشركين ، وهم يتماس معها يومياً ، ولا سبيل لهم دونها ؛ إذ الأرض مهادهم ، والسماء سقفهم ومع ذلك غفلوا عن أكثر ما فيها من أسرار ولطائف ، وهذه الآية مقدمة لما بعدها ، أي : إذا كانت الغائبات عنكم في السموات والأرض ، وهي من مظاهر العظمة ، يعلمها الله ، فكيف بكم وما أضمرتم في نياتكم وأسررتم في أنفسكم .

إن إضافة المبنى في الآيات المتقدمة ، جعله يكتسب الزمن الماضي في أعراف النحاة (٤٠) ، وهو في مورد الله عز وجل لا يشترط ذلك ؛ لأن الزمان ينشأ مع نشوء الحركة والفعل ، المرتبط بعالم الخلق لا عالم الخالق ، والزمان المستفاد من المبنى في السياق يحدده النشاط الذهني والتأمل العقلي الذي يقضي بان الموجودات كلها من خلق الله عز وجل ، سواء أكانت ظاهرة أم باطنة ، وعندما تصبح متعلقة بالعلم الإلهي ، فلا غرو أنها منذ الخلق والتكوين ، وهذا يجعل زمنها ماضياً .

وقد استعمل هذا المبنى مجموعاً في سبع آيات ، بعضها جمع مذكر ، وفي آيات أخرى استعمل منه جمع التكسير ، ولكل منهما دلالة بحسب السياق والمعطى الصرفي للبناء ، قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ سورة العنكبوت / ٤٣ . قَالُوا أَضْغَاثُ أَخْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿ سورة يوسف / ٤٤ . ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾

سورة الشعراء / ١٩٧ . ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ سورة فاطر / ٢٨ . ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ سورة الأنبياء / ٥١ . ﴿ وَكُنَّا

وأكد هذا الرازي بقوله : " الاسم له دلالة على الحقيقة دون زمانها ، فإذا قلت (زيد منطلق) لم يفد إلا إسناد الانطلاق الى زيد . وأما الفعل فله دلالة على الحقيقة وزمانها فإذا قلت (انطلق زيد) أفاد ثبوت الانطلاق في زمان معين لزيد وكل ما كان زمانياً فهو متغير والمتغير مشعر بالتجدد فإذن الأخبار بالفعل يفيد وراء أصل الثبوت كون الثابت في التجدد والاسم لا يقتضي ذلك " (٣٣) .

أقول : إن هذه النظرة ليس لها أساس عقلي ؛ لأن الزمان هو فرع الحركة ، والحركة متقومة بالتغيير التدريجي ، وهي من الأعراض التي تقوم بالغير ، ومن المعلوم إن بعض الأعراض لا يتسم بالثبات ، بل تتحول وتزول ، وإن كان زوالها بطيئاً ، ومن أصدق المفاهيم على ذلك بعض

أوزان الصفة المشبهة - وهي أسماء - مثل صيغة فعلان ، التي لا تعطي معنى الثبات .

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانٌ سَيفًا ﴾ سورة الاعراف / ١٥٠ . ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ سورة الاعراف / ١٥٤ .

والمعنى واضح من الآيتين في طرو الغضب وزواله ، وليس بعادل من يقول بثباته بعد ان أكده القرآن . وفي استعمال بعض المصادر ما يخرق الكلية المزعومة بقولهم ، فصيغة فعلان لا تقتضي الثبات ، بل هي للدلالة على التقلب والاضطراب والحركة كالغليان (٣٤) .

يقول الدكتور فاضل السامرائي في استعمال هذا المصدر : " فأنت تقول غليت الماء غلياً وغلى الماء غلياً إن أردت الفعل ولم ترد التقلب والحركة . . . فإن أردت الحركة والاضطراب قلت : غلى الماء غلياناً " (٣٥) .

ومثله الصفة المشبهة التي على وزن فِعل (٣٦) . وكذا ما يقع حالاً في النحو ، لأنه وصف غير ثابت في الأعم الأغلب . . .

ومما تقدم يتبين : أن الاسم قد يكون دالاً على الثبوت ، وقد يدل على خلافه ؛ بحسب الاستعمال والوضع ، أما الزمان ، فانه يفهم من قرائن السياق ، وقد يفهم من بعض الأسماء المنقولة للظرفية .

بعد أن اتضحت الدلالة المفهومة من الاسم ، نأخذ أمثلة من هذه المباني :

بناء فاعل :

إن هذا البناء له أمثلة كثيرة يحتذى بها ، ويصاغ على منوالها من كل فعل ثلاثي ، ويسمى في الاصطلاح اسم الفاعل ، وهو يدل ، عند القوم ، على الحدث والحدوث وفاعله (٣٧) .

ظهر بناء عالم من تلبس مادة (ع ل م) بهذه الصيغة في آيات قرآنية :

قال تعالى : ﴿ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ سورة الأنعام / ٧٣ . ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ سورة الحشر / ٢٢ . ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ سورة الجن / ٢٦ . ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ سورة فاطر / ٣٨ .

إن لهذا البناء لحاظين : الأول هو الذات ، والثاني هو الوصف للذات ، ومن هذين للحاظين نشأ مفهوم الاسم ، وهو أن نتعرف على الذات بوصف من أوصافها . ولم يأت

واتقى الله . قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ اللَّهُ ﴾
سورة البقرة / ٢٨٢ . وفي الآيتين الثالثة والرابعة جاء
الجمع بصورة مغايرة للجمع الأول ، ويحتمل أن يكون
مفردة مبنى عالم والمسوغ له حصوله بعد مزاولته وطول
ملابسة ، أي انه كالغريزة الثابتة التي لولاها ، لقليل متعلم

لا عالم ، ولما خرج بالغريزة الى باب فعل صار بمعنى
عليم^(٤٣) . وهو يكشف - في الآيتين - عن المنزلة
والميزة التي يتمتع بها هؤلاء ، فعدوا متبوعين منزلة
اجتماعية مرموقة في قومهم ، لكن في الآية الثالثة التي
تقرن العلم بالخشية من الدلالة الشيء الكثير ؛ لكون
المعلوم هو الذات الإلهية بأسمائها وصفاتها^(٤٤) .

ولاشك أن الخشية تقترب مع المعلوم ، عند هؤلاء ، لأن
الوصول الى هذا المقام ليس بميسور لكل احد ، ومن ثمار
هذا المقام هو ترتب الآثار على المعلوم وعدم تقهقرها ،
ومجيء الجمع مع الغرائز والسجايا يؤكد ذلك

أما الآيتان الخامسة والسادسة ، فقد استعملت صيغة
الجمع في مورد الله عز وجل ، وفيها من الفخامة والقوة
ما لا يخفى ، فضلاً عن لفت المخاطب الى براعة الاستعمال
في العدول عن فاعل الى فاعلين ، ولها قيمة فنية تزيد من
جمال الفاصلة . والعلم في الأولى يشمل دقائق الأمور
والأحوال ، والإحاطة بكل شيء في الثانية .

وإذا ما انتقلنا الى الآية السابعة ، فإننا سنجد تعلم العلم في
مظاهر خلقه ونظام تدبيره ، وهو مسوق للتأمل في نظامه
الأرضي كما يعبر الطاهر " فخلق السموات والأرض آية
عظيمة مشهودة بما فيها من تصاريح الإجماع السماوية
الأرضية ، وما هو محل العبرة من أحوالهما المتقاربة
المتلازمة كالليل والنهار . . ."^(٤٥)

ومتعلق العلم هنا الموجودات الخارجية الحية التي تستدعي
لفت النظر الى دقة ارتباطها وانتظامها وحكايتها عن مبدع
قديم ، ومثل هذا الارتباط يتم بدخالة الحواس والآلية
الذهنية المحللة التي تحتاج الى مزاولته حيناً بعد حين ،
لكي تشد ، وتكون صالحة للرسوخ .

ب - بناء مفعول

يدل هذا البناء عند أهل الصنعة على الحدث ومفعوله^(٤٦) ،
وأضيف عليه الدلالة على الحدوث^(٤٧) ولا تختلف دلالاته
على الزمن عن اسم الفاعل ، فقد يأتي دالاً على الزمن
الماضي أو الحاضر أو المستقبل من خلال السياق . وقد
تلبست مادة (ع ل م) بهذا البناء ، فأنتج لنا (معلوم)

لتدل على أن الشيء غير خفي ، ومن أمثله القرآنية :

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾
سورة الحجر / ٢١ . ﴿ فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾
سورة الشعراء / ٣٨ . ﴿ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ
لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ مَعْلُومَةٍ ﴾ الواقعة / ٤٩ -
٥٠ . ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ سورة الصافات / ١٦٤

استعملت هذه الآيات المبنى ((معلوم)) وهو اسم مفعول
مأخوذ من الثلاثي ، ليدل على أن الشيء المذكور غير
خفي على العالم باختلاف مراتبه .

ففي الآية الأولى يكون المعلوم حاضراً عنده غير مجهول ،
وهو التقدير بالنسبة الى كل الأشياء النازلة من خزانته عز
وجل^(٤٨) .

بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿ سورة الأنبياء / ٨١ . ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾ سورة الروم / ٢٢ .
في الآيات السابقة جمع لفظ ((عالم)) على (عالمون و
علماء) وقد سمي الأول في عرف النحاة والصرفيين جمع
مذكر سالم ، والثاني جمع تكسير ، وهما ليسا سواء في
الدلالة ، فجمع المذكر السالم يدل على القلة ، وجمع

التكسير يدل على القلة والكثرة ، ومن جهة أخرى إن جمع
المذكر إذا كان للصفات ، أبعداها عن الاسمية وقربها
الى الفعلية ، وجعل دلالتها على الحدث بخلاف جمع
التكسير الذي يقرب من الاسمية ، وهذا ما اختاره الدكتور
فاضل السامرائي مرتكزاً في ذلك على احتياج الجمع الى
متعلق^(٤٩) .

ولكن هذا لا يصلح توجيهها مطلقاً لهذين الجمعين ، لأن
من جموع القلة ما يدخل عليه ال التعريف فيجعله للكثرة ،
فضلاً عن ورود ألفاظ على جموع القلة ، وليس لها جموع
كثرة أصلاً فكيف نحملها على القلة . . إن السياق هو
الملاك في تحديد القلة والكثرة .

أما احتياج الوصف المجموع جمع مذكر سالماً الى المتعلق
، فلأن مفردة يسلم عند الجمع ، ومن ثم فإن احتياجه الى
المتعلق بعد الجمع كانن ، تقول : علمت بزيد وعالم بزيد
وعالمون بزيد ، أما المجموع جمع تكسير ، فقد يكون
السر في عدم احتياج مفردة الى متعلق هو تغير مفردة عند
الجمع ، ولا يخفى أن تغير الصورة يعني انتقاء الشبه
بالفعل ، ألا ترى أن اسم الفاعل لا يعلم إذا صغر ، هذا من
جهة ، ومن جهة أخرى إن التعلق بشيء يعني التقيد به ،
ولا حاجة لذلك إذا كان الجمع يطرد في الوصف الذي على
وزن فيعل أو فاعل وفيه دلالة على الغرائز والسجايا ؛
لأنها تدل على الثبوت ، فكريم وكرماء لا تخصص بفرد أو
جهة ، بل هي ثابتة في الشخص على نحو التمكن ، سواء
أكانت لزيد أم لغيره ، أما ذكر التخصص في بعض الموارد
، فربما لزيادة العناية بشأن المتعلق والاهتمام به كما في
قوله تعالى : ﴿ كَانَ بِكُمْ رَجِيمًا ﴾ سورة النساء / ٢٩ . ﴿
وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ سورة الفتح
/ ٢٩ .

إذاً يمكن تفسير قول السامرائي في أغلب الموارد لا
جميعها ، لأن احتياج المتعلق في بعض الموارد ضروري ،
لأن العناية تطلبه أكثر .

استعمل الجمع في الآية الأولى في حق صنف من الناس
لهم الأهلية للتعلل ، وإدراك حقيقة الأمثال المضروبة^(٥٠)
، لا الإيمان بها فحسب ، لأن هذا يشترك فيه الناس
جميعاً ، ولا يخفى أن الأمثال من مآثورات الشعوب ، ولكن
تعللها ، واتخاذها ذريعة للوصول الى المستبطن وراءها
يشعر بكمال هذا الصنف من الناس .

وقد جاء الجمع في الآية الثانية في سياق النفي والبراءة
من نيل شرف العلم القائم على تفسير الأحلام ، وحل
رموزها ، وهل هذا الا اعتراف بالنقص والضعف والتجرد
من فضيلة سامية لها الشرف في إزالة اللبس عن
معضلات الأمور .

وشرافة العلم المتقدم تكمن في ارتباطه بمراتب وجودية
غيبية ، لا ينالها إلا من طهر قلبه ، وصفت سريره ،

والمعلوم في آية الشعراء هو اليوم الذي اتخذ لمعارضة السحرة في قصة موسى (ع) . والمعلوم في الآية الثالثة

هو يوم القيامة الذي يجتمع فيه الأولون والآخرون ، وتحققه كائن في المستقبل لا محالة ، فلا سبيل لأحد أن يعرفه إلا الله عز وجل .

والمعلوم الرابع هو المقام المشخص المعروف الذي لا يتعداه ، سواء أكان للملائكة (٤٩) أم للناس (٥٠) . وقد ورد هذا البناء في القرآن مجموعاً جمع مؤنث سالم .

قال تعالى : ﴿ الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ ﴾ سورة البقرة / ١٩٧ . ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ﴾ سورة الحج / ٢٧ .

والمسوغ للجمع في الآيتين مجيء المبنى وصفاً لما لا يعقل ، وهما الأشهر والأيام فأشهر الحج كانت معلومة عند العرب (٥١) ، والأيام المعلومات لذكر الله عز وجل هي في الحج (٥٢) .

ج - بناء مُفْعَل

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِثْلُنَا ﴾ سورة الدخان / ١٤ .

أخذ هذا البناء في عرف النحويين والصرفيين من الثلاثي المضعف (فَعَلَ) وبني للمفعول ، ليدل على أن الذات وقع عليها التعليم ، ومبدأ التعليم واقع في سياق ادعاء المشركين أن الرسول معلم بالشان الذي جاء به ، لا أنه جاء به من السماء ، ولم يرد هذا البناء إلا في الآية المتقدمة .

د - بناء أَفْعَل

يؤدي هذا البناء وظائف متعددة ، منها الوصف في الألوان والعيوب الظاهرة والحلى من خلقه أو ما هو بمنزلتها (٥٣) ، والتفضيل ، وهو الوصف الموازن للفعل تحقيقاً أو تقديراً الدال على زيادة صاحبه في أصل الفعل (٥٤) .

وقد تلبس بهذا البناء مادة (ع ل م) ، فدل على المفاضلة في أصل العلم ، أي : إن شينين اشتركا في الصفة نفسها ، فزاد احدهما على الآخر ، مهما كان الطرفان ، سواء أكانا متفاوتين كالواجب والممكن أم متفقين بالنوع . ومن أمثلة هذا البناء :

قال تعالى : ﴿ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ سورة البقرة / ١٤٠ . ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ سورة آل عمران / ٣٦ . ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ سورة الأنعام / ١٢٤ . ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ الأنعام / ١١٧ . ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ﴾ سورة العنكبوت / ٣٢ .

استعمل هذا البناء ، وأريد به التفضيل لا الصفة المشبهة التي تعطي معنى المشقوق الشفة العليا ، وإن كان غير واحد ذهب إلى أن البناء - هنا - قد يعطي معنى من قام بالفعل (عالم) (٥٥) .

لظهور الباء معه دون من ، ومن المقرر في هذا البحث أن اسم التفضيل إذا أفرد ، ولم يضاف لزمته من (٥٦) ، وإن كانت مقدرة ، ولما كان الظاهر مع اسم التفضيل هو الباء دون من ، قيل أنه بمعنى اسم الفاعل ، وخصوصاً إذا لم يكن ثمة مفاضلة .

ولكن ظهور الباء مع الاسم لا يعني صرفه عن التفضيل ، لأن المفضول عليه قد يحذف ويدل عليه السياق ، ولا ضير في كون العلم ومعلومه يصدق على الله عز وجل وعلى الإنسان ، ولا يرد عليه أن علم الإنسان ما كان يتحقق لولا العلم الإلهي المتجلي به عليه ، لأن هذا نظر الموحد العارف الذي يرى الوجود بحقيقته ، ولا يرى ثمة استقلال لشيء ، أما من دنت مرتبته ، وقصرت به همته ، وتحلى بحجاب انيته ، فهناك سبيل للمفاضلة ؛ لكي يثبت بالحجة والبرهان للمعاند والمنكر العلم لله على نحو أعلى وأشرف وأتم من غيره . والآيات التي تخاطب المنكرين والمكذابين وأشباههم ظاهرة في ذلك ، وقد تبرز خصوصية المعلوم في بعض المواطن ، والاهتمام به ، فتستدعي المفاضلة من جهة ، وإن كانت بين النبي إبراهيم والملائكة (ع) . أما عدم ذكر المفضول عليه في جل الآيات القرآنية ، فربما لهوان علم المفضول عليه ، أو لعمومه .

في الآية الأولى ذكر المفضول عليه لكن ليس مع حرف الجر من ، بل ظهر الفاضل والمفضول عليه طرفين لـ أم الواقعة بعد همزة التعيين ، التي يراد بها - هنا - التوبيخ والإنكار (٥٧) .

وقد دلت المفاضلة ضمناً بين علم الله عز وجل ، وعلم المخاطبين في الآية في المعلوم (ما كان عليه إبراهيم من ديانة) ، وشتان بين الاثنين ، فالله أعلم بإبراهيم من هؤلاء .

واستعمال هذا النحو من الأسلوب في المفاضلة تقنية أسلوبية لحمل المخاطب على الإذعان والإيقان ، لأن أم مع الهمزة تفرض على المتلقي اعتماد احد الطرفين .

أما الآية الثانية ، فقد استعمل الوصف للتفضيل ، والمفضل عليه محذوف مع حرف الجر من ، وهو يعود على أم مريم ، أي إن الله أعلم منها بنفاسة ما وضعت (٥٨) . وقيل هم المخاطبون في الآيات القرآنية (٥٩) ولكن سياق الآيات يشهد أن المفضل عليه هو أم مريم ، لأنها كانت تتصور أن المولود ذكر ، وقوله تعالى : " ليس الذكر كالأُنثى " يؤكد ذلك .

والوصف في الآية الثالثة استعمل للتفضيل بين العلم الإلهي ، وعلم المدعين : " حتى نؤتي مثل ما أوتي رسول الله " ومتعلق العلم هو شخص الرسول (٦٠) ، وليس

لعلم هؤلاء المدعين أي اعتبار في تشخيص مواضع الرسالة . واستعمال التفضيل - هنا - يشعر بأن علم المدعين له قيمة واعتبار - كما يثبتته القرآن - وهو مع ذلك لا يفضل على علم الله عز وجل .

ولكن تحرير هذا النحو من المطالب يحتاج إلى وعي المخاطب بالظروف والملابسات التي تحيط بالحدث التاريخي إبان نزول القرآن ، وخصوصاً أن القرآن يسعى لإعجاز الخصم وتبكيك المعاند ، وتقرير مثل هذا الأسلوب هو لأجل تسليم المخاطب بأن له نحواً من العلم ، ولكن لا يستطيع أن يمتد ليشمل دقائق الأمور وبواطنها ، وموضوع اختيار الرسول تحدده جملة من الأمور ، وأهمها هو العلم التام غير المتناهي الذي يحيط بكل شيء

، ومنها استعداد الرسول وقدرته على تحمل أعباء الرسالة ، وليس بوسعكم ، وما تحملون من علم أن تصلوا إلى هذه

المعرفة ، وذلك العلم الذي يراعي الحكمة ومصالح الأمور

وفي الآية الرابعة استعمل البناء وهو اسم تفضيل للدلالة على أن الله لا يعزب عن علمه احد من الضالين ، ولا احد من المهتدين ، وأن غير الله قد يعلم بعض المهتدين وبعض المضلين ، ويفوته علم كثير من الفريقين ^(٦١) .

وهناك من لم يحمل البناء على التفضيل ^(٦٢) ، واحتمل آخر هذا المعنى إذا لم يتم بمن الجارة ، وأريد به أن حقيقة العلم بالضالين والمهتدين هو الله عز وجل ، ولا يشاركه به احد حتى يفضل عليه ^(٦٣) . ومثل هذا قالوا في سورة القصص " رب أعلم من جاء بالهدى . . . " ^(٦٤) .

أما الآية الخامسة ، فقد احتمل ابن عاشور في المبنى أن يكون للوصفية المجرد من التفضيل ، من أجل أن يدفع الإشكال الذي يرد حول أعلمية الملائكة من أنبياء أولي العزم ، فارتضى أن يكون المعنى : نحن عالمون بمن فيها

واحتمل أن يكون للتفضيل بين علم الملائكة وعلم النبي إبراهيم (ع) وعلل التفضيل بأسبقية علمهم على علمه ، وأنه وحي من الله ^(٦٥) .

وللعلامة الطباطبائي توجيه جميل مفاده : أن جواب الملائكة محمول على ظاهر كلام النبي إبراهيم (ع) عندما خاطبهم " إن فيها لوطاً " ، لأنه كان عالماً بأن الله عز وجل لا يعذب النبي (ع) ولكنه أراد بسؤاله أن يدفع الله العذاب عن أهل القرية تشريعاً له ^(٦٦) .

ويمكن أن يحمل التفضيل على أن لكل علم متعلقه ، وإن الله عز وجل يفيض على الموجودات ما يناسب شأنهم ومقامهم ووظيفتهم ، ومن هذه الجهة قد يكون للملائكة أفضلية بإحدى هذه اللحاظات .

هـ - بناء فاعيل

إن لهذا البناء معاني وظيفية متعددة على النحو الآتي :

اسم ذات : سبيل وحرير

اسم معنى : شهيق

صفة مشبهة : عزيز

صيغة مبالغة : عليم

اسم فاعل : نذير

اسم مفعول : قتل

اسم جمع : قبيلة

جمع تكسير : حمير

اسم جنس : شعيرة ^(٦٧) .

وقد لوحظ هذا المبنى مع المادة اللغوية ، فأعطى عليم ، ليدل على مبالغة اسم الفاعل ، وهو منقول - على رأي د . فاضل السامرائي - عن فاعل الصفة المشبهة ، ويدل على معاناة الأمر وتكراره حتى أصبح كأنه خلقة في صاحبه وطبيعة فيه ، فهو لكثرة نظره - مثلاً - في العلم وتبحره فيه أصبح له سجية ثابتة كالطبيعة فيه ^(٦٨) . لكن

تبقى الدلالة اسيرة الفهم المادي ، لان تطبيقه ف مورد المجردات يخلق اشكالية كبيرة .

واستعمل البناء على نحوين : مفرد ، ومقترن مع غيره من الأسماء الإلهية . قال تعالى ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ سورة البقرة / ٢١٥ ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا

قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ سورة البقرة / ٩٥ ﴿ قَالَ الْمَلَأَ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ سورة الأعراف / ١٠٩ ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ سورة يوسف / ٥٥ ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ سورة الحجر / ٥٣ .

يقول الألوسي في الآية الأولى : " وفي (عليم) من المبالغة ما ليس في عالم وليس ذلك راجعاً الى نفس الصفة لأن علمه تعالى واحد لا تكثر فيه لكن لما تعلق بالكلي والجزئي والموجود والمعدوم والمتناهي وغير المتناهي وصف نفسه سبحانه بما دل على المبالغة - والشئ - هنا عام باقٍ على عمومته لا تخصيص فيه " ^(٦٩) .

ومجيء العلم مع مظاهر خلقه وإبداعه يدل على ارتباط العلم بالنظام المحكم الذي يجمع موجودات عالم الإمكان ، فهي في نسقها ورتابتها غير خارجة عن علمه عز وجل ، ولما كانت الأشياء في الخارج غير محدودة - وهي متعلقة بالعلم - أطلق العلم من التقيد ، وأصبح دالاً على العموم والسعة ، وفي هذا من المبالغة ما لا يخفى ، فضلاً عن مبالغة المبنى .

ولا تخرج الآية الثانية في مبالغة العلم عن السابقة ، إلا أن ظهور المعلوم بصورة مفهوم خارجي قيد العلم بالمعلوم خلافاً للأولى ، وقد استعمل المبالغة مع المعلوم - مع أن اتصاف الله بالصفات يجري على سمت واحد - لحاجة السياق ، فهي - أي الآية - تخاطب اليهود وتكشف زيف ادعائهم : أن الجنة لهم خالصة ، وأنهم أحباء الله ، لأن أيديهم قد لطخت بالمعاصي وفسدت معتقداتهم ، فاضحوا ضالين تائهين ، فجاءت الآية تهددهم بأن الله - لسعة علمه وإحاطته - لا تخفى عليه ما انطوت عليه ضمائرهم ، وخُبت سرانركم ، وسوء فعائلكم .

وقد قوبل بين أعمالهم الكثيرة غير الصالحة ، واستعمال المبنى للمبالغة .

وفي الآية الثالثة استعمل البناء للمبالغة في علم السحر ، أي إن علمه بالسحر مبالغ فيه ^(٧٠) ، والكلام للملأ من قوم فرعون لما رأوا معجزات موسى (د) . والمبالغة منهم تتناسب مع ما لحقهم من هول وتعجب ، وقد دفعهم إنكارهم وخفة عقولهم الى عد هذا العمل من علم السحر المبالغ فيه ، لذلك هم أذعنوا ، انه شيء عجيب ، وفائق للعادة ، فوصفوه بالعليم ، وإن علق هذا الوصف بالسحر لا بالنبوة والرسالة .

وفي الآية الرابعة جاء هذا البناء ، ليؤكد أن مدعيه أجدر بنيل هذا المقام دون غيره ، وقد جعله رديفاً لوصف آخر

، وهو حفيظ ، ليكونا لازمين لمن يتصدى مقاماً هو سائله ^(٧١) .

إن الوصف المتقدم ادعاه نبي الله يوسف (ع) عندما استخلصه الملك لنفسه ، لكي يجعله ولياً على خزانة الأرض ، ومن هنا يتبين أن للعلم الكثير دوراً في السياسة والتدبير .

وقد استعمل البناء استعمالاً مجازياً في الآية الأخيرة ، عندما تعلق الوصف بالغلام ، وهو بعد لم يكن أهلاً لأن يتلبس بهذا الوصف ، والمراد ما سيكون بعد أن يكبر

وفي الآية الثانية يعلق العلامة الطباطبائي في استعمال البناء مضافاً الى الغيوب بقوله : " ان العلم التام بجميع الغيوب منحصر فيه فما كان عند شيء من الأشياء وهو غيب عن غيره فهو معلوم لله سبحانه وهو محيط به ولازم ذلك أن لا يعلم شيء من الأشياء بغيبه تعالى ولا يغيب غيره الذي هو تعالى عالم به لأنه مخلوق محدود لا يتعدى طور نفسه فهو علام جميع الغيوب ولا يعلم شيء غيره تعالى بشيء من الغيوب لا الكل ولا البعض " (٨٤).

وإذا كان الغيب يمثل الجانب غير المدرك للإنسان ، أو الجهة التي لا تنفذ له حواسه وقواه المدركة ، فإن تعلق العلم الإلهي به بصورة المبالغة يشعر بنقص الأدوات الإدراكية للإنسان وعظمة الذات الإلهية .

والمبالغة منظور إليها من خفاء تلك العوالم على سعتها عن علم الإنسان الذي اقتصرت يده على ما في عالم الملك والشهادة المحاط بجدران الزمان والمكان .

ز - بناء فعل

يأتي هذا البناء وصفاً ومصدراً واسماً صريحاً مثل : ملّح ورزق - وهو على غير قياس (٨٥) - وذنب . والمستعمل مع المادة هو المصدر علمٌ وهو من المصادر غير القياسية للفعل الثلاثي ، يدل على الحدث المجرد . أو مجرد الحدث من غير تعرض لزمان (٨٥) . وقد ورد في القرآن كثيراً .

قال تعالى : ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ سورة الأنعام / ٨٠ . ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ سورة هود / ٤٦ . ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ سورة البقرة / ٢٥٥ . ﴿ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ﴾ سورة الأحقاف / ٢٣ . إن البناء المتقدم يعطي معنى الحدث المجرد ، فلا يخبر به عن الذات كما في عالم وعلامة وعليم ، بل هو اسم معنى تحصل به الذات معنى من المعاني ، وتطلق عن التقيد بالزمان .

يأتي المبنى المصدري في سورة الأنعام ليدل على المعنى المطلق من كل جهة ، فيسع كل شيء ، أي إن الموجودات كلها تحت حيطه العلم الإلهي .

وقد جاء في سورة هود مرتبطاً في سياق النهي عن السؤال بغيره أي العلم في قصة نوح (ع) مع ابنه ، فالذي لا يعلمه نوح (ع) ليس العلم المطلق بل هو العلم بخصوص ابنه ، وتحقق إيمانه ، وقد خصصه السياق عن إطلاقه بالحادثة ، فإن كان مؤمناً ، فهو من أهلك ، وأهلك لا سبيل الى لحوق العذاب بهم وإدراكهم ، أما إذا لم يكن مؤمناً فهو ليس من أهلك ، وسيشمله العذاب ، وهذا هو العلم الذي لم يصل اليه النبي نوح (ع) (٨٦) .

وفي سورة البقرة جاء المبنى ليدل على المعلوم لا الحدث المجرد ، وهو ما ذهب إليه جمع من الأكابر كالرازي (٨٧) والالوسي (٨٨) وابن عاشور (٨٩) .

وللعلامة الطباطبائي توجيه آخر ، يحمل فيه العلم على المعنى المصدري ، إذ يقول : " ان العلم كله لله ولا يوجد من العلم عند عالم إلا وهو شيء من علمه تعالى ، ونظيره ما يظهر من اختصاص القدرة والعزة والحياة بالله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ

ويصبح أهلاً لمستودع علم الله ، ومبلغ شرانعه . وقد فسر القرطبي العلم بالحلم ، استجابة لآية أخرى وصفته بالحليم (٩٢) ، وهو بعيد ، لا من حيث اللغة ، ولا من حيث الظهور القرآني . وقد قال تعالى في الآية الثامنة والعشرين من سورة الذاريات " وبشروه بسلام عليم " أي عندما يكبر ، يصبح له العلم الكثير الذي ينفع به البشرية ، عندما يبلغهم الأحكام الإلهية والقيم الأخلاقية .

ذكر البقاعي أن الوصف بالعلم فيه مزيد مزية ، لأنه كان خائفاً كخفاء أمر الملائكة عليه (٩٣) .

والمقصود بالسلام في آيتي الحجر والذاريات هو اسحق ، أما المذكور في سورة الصافات " فيشرناه بسلام حليم " هو إسماعيل (٩٤) ، والسياق في الآيات يشهد بذلك من قبيل ذكر امرأته العقيم وغيرها ، وربما التبس ذلك على المفسر الكبير ، فأوقع احد الوصفين على الآخر ظاناً أنه السلام نفسه ، وهو في غير محله .

واستعمال الحلم لإسماعيل ، مع أن كليهما عليم ، لمناسبة السياق ، وهو استعداده لقبول الأمر الإلهي المتمثل بالذبح ، وعدم جزعه ، وهو لا يكون إلا إذا كان الحلم مترتباً على العلم (٩٥) .

و - بناء فعال

يأتي هذا البناء للمبالغة والصناعة ، نقول : علم لكثير العلم ، ونجار لصاحب النجارة وقد ورد كلا المعنيين في القرآن ، لكن الذي يقترن بالمادة اللغوية (ع ل م) هو الأول دون الثاني ، وهناك من أرجع احد البنائين الى الآخر ، فالمبرد يرد الصناعة الى المبالغة (٩٦) ، وكذا الرضي ، أي : إن الفعل لما كثر وتكرر أصبح له كالألة (٩٧) ، في حين عكس ابن طلحة الأمر ، وجعل الصناعة هو الأصل وتبعه في ذلك الدكتور فاضل السامرائي (٩٨) .

وفي كلا الاستعماليين ثمة تكرار للفعل وكثرة ، وهذا يقتضي المزاولة والتجدد كما يذهب السامرائي (٩٩) . ولكن يبقى الكلام المتقدم من لوازم عالم الإمكان ، فإذا ما أطلق الوصف على المجردات المحضة ، سلب هذا اللازم منه ، ولحظ فيه المعلوم ، سواء أكان كلياً أم جزئياً ، وعاماً أم خاصاً . . . ولا يخفى ان هذا البناء يعطي من المبالغة ما لا يعطيه البناء المتقدم ، لذا لم نجده يطلق إلا على الله ، ولم يكن متعلقه إلا الغيب . يقول العلامة المصطفوي : " والعليم : يستعمل في مورد يشار فيه الى ثبوت صفة العلم وتثبته . . . والعلام : يستعمل في مورد يشار فيه الى كثرة الإحاطة والعلم " (١٠٠) .

قال تعالى : ﴿ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ سورة المائدة / ١٠٩ . ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ سورة المائدة / ١١٦ .

استعمل البناء في الآية الأولى - في سياق مخاطبة الله أنبياءه عن ماذا أجابتهم أمهم حيال التبليغ ، فأجابوا بنفي العلم عنهم ، وإثبات العلم الكلي لله ، وهو على ما قيل نحو من التأديب مع الله عز وجل ؛ لأنهم أعلم بما أجابوا (١٠١) ، وإثبات العلم له عز وجل بصيغة المبالغة فعال يدل على كماله في العلم (١٠٢) ، وإضافته الى الغيوب يكشف عن حق العلم الذي لا يوجد عند غير الله عز وجل (١٠٣) .

وهو يشعر بان علم من سواه ضعيف لا يرقى الى مكنونات الغيب وخزائنه المستورة .

في نحو من أنحاء شؤون الحياة ، وهذا بحد ذاته يعد حاجة ماسة لوضع حقول معرفية تجزأ من خلالها العلوم وتقسّم على أقسام لتنهض ثقافة رتيبة ، ونسق منظم يسهل على المتلقي التقبل والربط بين موضوعات كل علم ، فمثلاً كان النحو والصرف يدرسان جنباً إلى جنب ، ومثل هذه الدراسة تفوت على الطالب معرفة موضوع كل منهما ، ولكن استجابة لمتطلبات الحضارة والعمران ، وانفتاح العقول وسعيها وراء الجدة والابتكار دفعها إلى التقسيم ، فأصبح - مثلاً - علم النحو يهتم بالتركيب ، وعلم الصرف يهتم بالمفرد وأحكام بنائه .

يقول محمد تقي مصباح : " أن تقسيم العلوم وتبويبها كان من أجل سهولة التعلم والتأمين الأفضل لأهداف التربية والتعليم " (٩٣) .

وقد رافق هذا التقسيم - كما هو واضح - مجموعة من المحددات ، استقل في ضونها المعلوم وتمايز عن غيرها ، فاحتاج إلى التوضيح (التعريف) لأن من لوازم التقسيم هو التمايز والاتفاق .

وبالجملة فإن العلم من حيث إطلاقه غني عن التعريف ؛ لأنه من شؤون الإنسان ، ولكن من حيث تقسيمه وتبويبه يحتاج إلى توضيح المعلوم المتعلق به ، وبمعنى هو توضيح لمصاديقه وخصائصها ، ومن هنا كثر الحديث عن هذا المفهوم من جهة العالم والمعلوم ، فهناك ذوات متباينة كالذات الواجبة ، والملائكة المجردة ، والموجودات المودعة في مهد المادة ، سواء أكانت عاقلة أم غير عاقلة ، متحركة بالإرادة أم بغيرها ، ولكل هويته وحقيقته ، فينسب إليه المفهوم ، من دون أن يكون ثمة

حيف في الإطلاق وآيات القرآن ناطقة بذلك . قال تعالى : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ سورة البقرة / ٢٩ . ﴿ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ سورة البقرة / ٢٣١ . ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ سورة الأنعام / ٨٠ . ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ سورة البقرة / ٢٦١ . ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ سورة

لقمان / ٣٤ . ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ سورة الأنعام / ١١٩ . ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ سورة البقرة / ٩٥ . ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ سورة آل عمران / ٦٣ . ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ هود / ٥ . ﴿ قُلْ أَتُبْنُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ سورة يونس / ١٨ . ﴿ أَمْ تَتَّبِعُونَ مَا لَا يُعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ﴾ سورة الرعد / ٣٣ . ﴿ لَنُعَلِّمَ أَيُّ الْحَزِينِ أَخْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ سورة الكهف / ١٢ . ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لَنُعَلِّمَ مِنْ يَوْمِنَ ﴾ سورة سبأ / ٢١ . ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ ﴾ سورة البقرة / ١٤٣ . ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ سورة البقرة / ٣٢ . ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ﴾ سورة العنكبوت / ٣٢ . ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ سورة الإنفطار / ١٢ . ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ سورة الحجر / ٥٣ . ﴿ إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ ﴾ سورة يوسف / ٥٥ . ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ سورة النساء / ١١٣ . ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ سورة الكهف / ٦٥ . ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾ سورة آل عمران / ١٨ . ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا ﴾ سورة آل عمران / ٧ . ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ

الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ وقال : ﴿ أَبْيَنُّونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ هُوَ الْخَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . . . ﴾ (٩٠) . والمتعین عندی هو المعنى المصدري ؛ لأن عدم الإحاطة يعني الافتقار إلى العلم المستقل بالذات الذي يؤولهم لبلوغ العلم الإلهي ، ، وأنى لهم ذلك ، فعلمهم غيظ من ذلك الفيض ، وفي سورة الأحقاف جاء المبنى مع أداة القصر إنما - ليدل على أن أصل العلم لله عز وجل وما نعلمه بفيض منه عز وجل ، وقد ذكر البناء في حوار النبي مع قومه ، وهو يرشدهم ويوجههم إلى صلاح الأمور والعاقبة الحسنة ، وهم يناون عنه ، ويطلبون منه أن يأتيهم بالعذاب ، فعلق النبي مقترحهم بالعلم الإلهي الذي لا يحيط به أحد ، وفي هذا يقول الطباطبائي : " قصر العلم بنزول العذاب فيه تعالى لأنه من الغيب الذي لا يعلم حقيقته إلا الله جل شأنه ، وهو كناية عن أنه (d) لا علم له بأنه ما هو ؟ ولا كيف هو ؟ ولا حتى هو ؟ . . . " (٩١) .

وتعريف العلم بعد أداة القصر يشعر بأن العلم كله عند الله ، ويحصل عليه غيره منه عز وجل بالإفاضة والإشراق أو بالأعداد والتكمين والتسخير ، ومظهر العلم بالآية هو الأمور الغيبية التي لا تتال إلا بتعليم منه عز وجل .

وهنا نكتفي عن أخذ المباني الأخرى لهذه المادة ؛ لأنها تخرج البحث عن استقصاء الخصوصية الجامعة التي يظهر بها المفهوم القرآني ، وقد سلك أوجهاً متعددة ، وتقمص صوراً متنوعة ، فأعطى من الدلالات الصرفية الشيء الكثير للنص ، لذلك أبعدنا بناء عالمين وأعلام وعلامات ، وركزنا على حركة المفهوم الواحد الذي يلبس أبنية متعددة .

المحور الثالث

مراتب (٩٢) المفهوم:

كان من المتوقع بعد أن عالجنا التصاريح البنائية للمفهوم ، والجهات الاشتقاقية التي يركن إليها في الاستعمال العربي ، أن نركز على الجهات المشتركة والجهات المختلفة للمفهوم من حيث النسبة والاطلاق .

إن العلم من المفاهيم التي كثر ذكرها في القرآن الكريم ؛ لأنه يمثل ركناً شديداً تتكى عليه الحياة في نموها وتطورها ، فالطفل ينمو وفي جنبه بذرة الاستقبال الواقع الخارجي ، واكتساب كل ما من شأنه أن يعرفه على الحياة ، ويفهمه الحقيقة والواقع . . . ، وبمرور الزمان تتراكم صور الأشياء في ذهنه ، ويقوم بفرزها وتحليلها ، ومن ثم تتكشف أسرار وأسرار خفيت عليه ، وغابت عنه ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ سورة النحل / ٧٨ . ولما كانت هذه المراحل أي : التعرف إلى الأشياء من حوله تحصل بالتدرج ، وبشكل عفوي ، حدا ببعض الباحثين أن يؤكد خلو العلم من أي تعريف ؛ لأنه من أعرف الأشياء ، ولا يوجد شيء أعرف منه حتى يوضحه ويرفع إبهامه (٩٢) .

نعم ، بعد هذا الشيء من أوضح الأشياء إلى الإنسان ، لا يعني أن ننكر الحقول المعرفية التي لا يستطيع الإنسان نيلها أو يحصل عليها بحكم وضعه ومرتبته وخصوصاً تلك العلوم التي تحتاج إلى بذل الجهد وتحمل المشاق في تحصيلها ، مما يترتب عليها تمايز الأشخاص وتخصصهم

أسبق من القرآن ، والوضع متقدم بزمان على نزوله ، لذا نحس بان الواضح لم يلحظ في وضعه غير الحاجة الملحة للتفاهم والتفهم ، وهذا كان بين أبناء البشر ، ولا يوجد ضرورة للتجاوز الى غيره ، وقد جرى القرآن في استعمالاته واختياراته الألفاظ المتواطئة فيما بينهم ، لأنه نزل لهم ، وقد اقتضى التفهيم والتواصل أن يكون الاتحاد في التسمية بين الأدوات .

نعم ، قد يقال إن هناك ألفاظاً قد اكتسبت بعداً قرآنياً وإسلامياً أكثر مما هي عرقية كالصلاة والصوم والزكاة وغيرها .

لكن العلاقة بين المعنى الأول والثاني لم تزل قائمة ، ولم تفسخ أصلاً ، ومن ثم يكون تفسير لفظة عليم في الموارد المتعددة بمعنى مختلف غير مبرر .

لأن الوضع يلحظ فيه المعنى ، وليس بإزاء نسبته الى المصداق ، لذا لا مسوغ للتحرج من البيان ، وإن كانت المصايق متعددة ، والذوات متباينة .

ولكن ما ينبغي الالتفات اليه هو نوع الوضع ، أكان للمعنى الجزئي أم للمعنى العام وخصوصاً في أسماء المعاني التي تضاف الى الذوات .

فمثلاً ما هو الملاك في وضع لفظة النار ؟ أهو للنار الخارجية التي تحسها وتشعر بحرارتها وتبصر لونها أم هو لتحقيق الخاصية التي متى وجدت حمل هذا اللفظ عليها ؟

يذهب الفيض الكاشاني الى أن هذه الخاصية الموجودة في الأشياء هي المعيار في الإطلاق ، وضرب لها مثل القلم ، وخاصته نقش الصور في الألواح ، والميزان وخاصته التوزين ، وحيثما وجدت هذه الخاصية ، صح الإطلاق وكان الاتصاف بها حقيقياً ، سواء أكان محسوساً أم معقولاً^(٩٦) .

وللعلامة الطباطبائي تقرير المطلب ، يستمد من القرآن إذ يقول : " ان الأنس والمادة (كما قيل) يوجبان لنا أن يسبق الى أذهاننا عند استماع الألفاظ معانيها المادية أو ما يتعلق بالمادة فان المادة هي التي يتقلب فيها أبداننا وقوانا المتعلقة بها ما دما في الحياة الدنيوية ، فإذا سمعنا ألفاظ الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والرضا والغضب والخلق والأمر كان السابق الى أذهاننا منها الموجودات المادية لمفاهيمها .. " (٩٧)

ثم يقول : " وهذا شأننا في جميع الألفاظ المستعملة ، ومن حقنا ذلك ، فان الذي أوجب علينا وضع الألفاظ إنما هي الحاجة الاجتماعية الى التفهم ، والاجتماع إنما تعلق به الإنسان ليستكمل به في الأفعال المتعلقة بالمادة ولواحقها ، فوضعت الألفاظ علانم لمسمياتها التي نريد منها غايات وأغراضاً عائدة إلينا " (٩٨) . ثم يبينه القارئ على الاختلافات التي تلحق المصايق المادية بقوله : " وكان ينبغي لنا أن ننتبه أن المسميات المادية محكومة بالتغير والتبدل بحسب تبدل الحوائج في طريق التحول والتكامل ، كما أن السراج أول ما عمله الإنسان كان إناء فيه فتيلة وشيء من الدهن تشتعل به الفتيلة للاستضاءة به في الظلمة ، ثم لم يزل يتكامل حتى بلغ اليوم الى السراج الكهربائي ولم يبق من أجزاء السراج المعمول أولاً

وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿ سورة الرعد / ٤٣ ﴾ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿ سورة الصافات / ١٥٨ ﴾ خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجَنَّةُ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿ سبأ / ١٤ ﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ عَنْهَا ﴿ سورة التکویر / ١٤ ﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿ سورة الإنفطار / ٥ ﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُظَرٍ لِّلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿ العنكبوت / ٤٣ ﴾ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿ سورة فاطر / ٢٨ ﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَخَارٍ عَلِيمٍ ﴿ سورة الشعراء / ٣٧ ﴾ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴿ سورة البقرة / ٦٠ ﴾ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴿ سورة يوسف / ٥١ ﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿ الروم / ٣٠ ﴾ فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿ سورة الشعراء / ٣٨ ﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴿ سورة النجم / ٣٠ ﴾ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴿ سورة النور / ٤١ ﴾

قبل أن نخوض في غمار هذا المطلب ، لابد أن نقدم توضيحاً حول قبول مفهوم العلم للشدة والضعف ، والوضع فيه . لا يخفى على كل فطن أريب ان القرآن أكد قبول المفهوم للشدة والضعف ، وثبته ، أي : القول بتفاوت درجات العلم ، ولذلك نجد ينفي العلم في بعض الموارد ، ويمدح (العالمون) ويذم غير العالمين في موارد ، وما هذا إلا لأن العلم اسم معنى تنال كل ذات منه بمقدار طلبه والسعي لتحقيقه ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ سورة يوسف / ٧٦ .

ولو لم يكن للعلم درجات ، لما ظهرت الفوقية ، وانقطع التفضيل ، ومحقت المبالغة ، ولم يبق للمدح شيء .

إن هذا الأمر بديهي ، لا ينكره اثنان ، فهو كالحديقة الغناء يقطف منها الجائع ما يرفع حاجته ، وفي بعض الموارد لا يوجد حد للكفاف ، إذا كان المعلوم شريفاً ، وفي تحصيله كمال للرائد وفوز للطالب .

الأمر الآخر الذي يجب التنبيه عليه هو الوضع ، أي وضع اللفظ بإزاء الأشياء ، أكان لحاظ الوضع متعدداً فيه ، فيكون وضع اللفظ إزاء الذوات التي ينسب إليها مختلفاً في كل مرة ، كما هو حال المشترك اللفظي أم ان المعنى واحد للجميع ، والاختلاف في خصوصية المصداق ؟ .

يذكر ابن القيم ثلاثة أوجه لتفسير الاشتراك الحاصل بين الألفاظ كالسميع والبصير والعليم . . .

الأول يفسرها بالحقيقة والمجاز ، فهي مجاز للرب ، حقيقة للعبد ، والقول منسوب الى غلاة الجهمية . ولم يختلف الوجه الثاني عن الأول ، سوى التغاير في النسبة ، فهو حقيقة للرب ، مجاز للعبد ، وهذا قول أبي العباس الناسي . والوجه الثالث يقول : إنها حقيقة فيهما ، وقد نسبته الى أهل السنة وعده صواباً وذكر أن اختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجهما من كونهما حقيقة فيهما ، لأن لكل شأنه وخصوصيته^(٩٩) ، ومن قبله الغزالي ذكر ان الاختلاف كان في الذوات ، وللذوات الإلهية خصوصيتها^(١٠٠) .

ولكن - هنا - تواجهنا عقبة كؤود : مفادها ان الوضع لا يراعى فيه خصوصية المصداق ، بل توضح الألفاظ للدلالة على المعاني ، فتصبح بمرور الزمن بالمواطأة والاتفاق تحمل مدلولاً محدداً في ذهن الجماعة ، يستحضر المعنى ، إذا ما لاح لفظ في الأفق . والمعروف أن اللغة العربية

أوسع ، ففي السعة ينفي الحدود والقيود للعلم الإلهي ، فهو الذي يسع كل شيء بعلمه ، وفي الخير يتعرف على دقائق الأمور ولطائفها ، وتأخر الخير - في الاستعمال - يدل على شدة العلم الذي لا تضيق عنده بواطن الأشياء وخفاياها .

وقد جاء في آيات متعلقات بالمعلومات الجزئية ، وهو من مصاديق علمه الذاتي كعلمه بالمهتدين والظالمين والمفسدين ، لاقتضاء السياق التصريح بالاعلمية على غيره ، لكي يشعر المتلقي بمراقبة الله عز وجل في كل لحظاته وحركاته وسكناته ، وفي آيتين منها نجد أن السياق خرج عن رتبته ، وعدل عن نمطيته ، فبدلاً من أن يُثبت العلم الإلهي الذي يسع كل شيء ، يُنفى عن الله عز وجل بصورة المضارع مع الحرف (لا) ليسجل نمطاً أسلوبياً متفرداً ، جعل فيه عدم العلم كناية عن عدم الوجود ، لأن العلم فرع الوجود ، فإذا لم يكن ثمة وجود - والوجود كله من الله - فلا معلوم ، وهذا نحو من التوجيه إلى ذهن المتلقي ، لأن يدرك أن معلومات الوجود كلها حاضرة لديه ، فإذا ما ادعى أعمى أن هناك شفاعة أو آلهة مع الله ، فهو لا محالة من الأمور التي لا يتعلق بها علم الله عز وجل ، لأنها غير موجودة . وهذا من روائع التعبير القرآني .

ومن النمط الأخير من المجموعة الأولى نظفر بنحو من العلم يختلف عن كل الآيات المتقدمة ، لأنه يتعلق بالفعل الذي وقع أو سيقع ، ويترتب عليه بعد ذلك أن يكون الواقع معلوماً له عز وجل ، وقد سمي بالعلم في مقام الفعل بعد الوجود ، فالله عز وجل في علمه الذاتي يعلم أي الحزبين أحصى ، ويعلم من يتبع الرسول ، ويعلم المجاهدين ، لكنه أراد أن يكون علماً ومعلوماً في مقام الفعل^(١٠٢) . وهذا النحو من العلم كثيراً ما يقع في مورد الاختبار والامتحان .

إذاً مما تقدم يتبين: أن العلم الإلهي نوعان - كما هو ظاهر الآيات القرآنية - .

الأول هو الذاتي أي إن ذات الله عز وجل أحاطت علماً بكل شيء ، سواء أكانت الأشياء موجودة أم غير موجودة ، وفي ذلك يقول الإمام الصادق (ع) " لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع ، والبصر ذاته ولا مبصر . . . فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم . . . " (١٠٣) .

والثاني فعلي ، أي إن ذات الله عز وجل عالمة في مقام الفعل ، فكما أن الأشياء الموجودة في الخارج هي فعل الله عز وجل ، هي معلومة له أيضاً ، وهو يختلف عن الذاتي في جملة أمور ذكرت في كتب العقائد (١٠٤) .

وفي ضوء التمايز بين العلمين صحة القسمة ، لكن هذا التمايز ليس على نحو التباين ، بل هو تمايز في خصوصية المعلوم لا العلم ، أي أنه واحد ، وله مرتبتان ، الأولى في مقام الذات والثانية في مقام الفعل ، وهاتان المرتبتان ، وإن كانتا مختلفتين من جهة يبقى مفهوم العلم واحداً بالنسبة إليها ، فهو حقيقة واحدة ذات مراتب مختلفة ، يرجع ما به الامتياز إلى ما به الاشتراك ، يشتركان في جهة العلمية ، ويختلفان في الشدة والضعف ، ولا يخفى أن

الموضوع بإزائه لفظ السراج شيء ولا واحد . . . فالمسميات بلغت في التغير إلى حيث فقدت جميع أجزائها السابقة ذاتاً وصفة والاسم مع ذلك باق ، وليس إلا لأن المراد في التسمية إنما هو من الشيء غايته ، لا شكله وصورته ، فما دام غرض التوزين أو الاستضاءة أو الدفاع باقياً كان اسم الميزان والسراج والسلاح وغيرها باقياً على حاله . فكان ينبغي لنا أن ننتبه أن

المراد في صدق الاسم اشتغال المصداق على الغاية والغرض لا جمود اللفظ على صورة واحدة " (١٠٥) .

إن أطروحة الطباطبائي والتي قبلها لا اختلاف بينهما سوى الصياغة وإلا فالمال واحد ، وهما جيدتان يمكن أن نفيد منهما الشيء الكثير في معرفة الحقائق ، وخصوصاً ما كان الاستعمال القرآني يجعلها لعوالم غير عالمنا ، ولذوات غير ذواتنا ، وهي لم تخرج عن الاستعمال العربي ما دام الذوق لا ينكره ، والتحويلات التي تطرأ على المسميات المادية لا تخرجه عن حده ومفهومه كما في لفظة السراج والميزان .

ولا يخرج مفهوم العلم عن التحليل المتقدم ، فهو لا يعني أكثر من حضور المعلوم لدى العالم ، سواء أكان بنفسه أم بصورته^(١٠٦) ولا يرتفع هذا المعنى عند نسبته إلى الله عز وجل أو إلى الملائكة ، ولكن خصوصية المصداق تفرض عليه قيماً زائداً يتمثل بالبعد الوجودي أو المرتبة

الوجودية التي يكون معها المفهوم شديداً أو ضعيفاً لا غير ، فهو هو ، وهو غيره^(١٠٧) . يقول الطباطبائي :

" الذي نفهمه من قولنا ((علم زيد)) وقولنا ((علم الله)) معنى واحد ، وهو انكشاف ما للمعلوم عند العالم ، غير إنا نعلم أن علم زيد إنما هو بالصورة الذهنية التي عنده ، وأن الله سبحانه يستحيل في حقه ذلك ، إذ لا ذهن هناك ، وهذا ليس إلا خصوصية في المصداق ، وهي لا توجب تغيراً في ناحية المعنى بالضرورة ، فإذن المفهوم مفهوم واحد ، وأما خصوصيات المصاديق فغير دخيلة في المفهوم البتة " (١٠٨) .

وخصوصية المصداق المذكورة سالفاً تقتضي التمايز ، ومن ثم تفضي إلى التقسيم ، وبمعنى أن الذي تكون المعلومات بنفسها غير مستورة عنه ، ولا خافية عليه ، يختلف عن الذي تكون معلوماته متوقفة على دخالة الآلة والانفعال بالواقع الخارجي ، والذي علمه فرع لوجود الأشياء يباين من الوجود والأشياء فرع لعلمه .

والآن بعد أن علمنا أن المفهوم واحد عند نسبته إلى الأشياء ، نقرأ الآيات المتقدمة في ضوء خصوصية المصداق ، ولا شك أن القارئ يرصد انتظام الآيات في حقول ، يضم كل حقل الجهة التي ينسب إليها المفهوم .

ففي المجموعة الأولى من الآيات نجد أن العلم يعزى إلى الله ، وقد تنوع اللباس اللفظي الذي ظهر به العلم الإلهي ، بحسب السياقات التي يراعى فيها الدقة في الاختيار والبراعة في التعبير ، لكن ما يميز العلم الإلهي في هذه الآيات أنه ليس على سمت واحد من الظهور ، ففي بعضها جاء مفرداً ، ودل على إحاطته بكل شيء .

أي إن كل الأشياء معلومة له عز وجل ، وفي آيات أخرى ظهر مقترناً باسم من أسمائه : الواسع والخبير ، ليدل على أن لهذا المركب مزية زائدة يكتسب بها العلم معنى

في آيات قرآنية كثيرة ، كالذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم غافلون عما وراءها ، ينالون الذم والتوبيخ . والذي لا يريد الحياة الدنيا هو والجاهل سواء . إن العلم المتقدم على تفاوته بين الأشخاص ، ليس على نحو واحد حتى الراسخ فيه ، والممدوح عليه ، بل يختلف بحسب متعلقه ، فإن كان متعلقه ذرراً من عالم الغيب استغنى عن دخالة الذهن ، وتفعيل الآلة ، لترتب الأثر مباشرة كما في علم خليفة الله ، ووصي سليمان وعلم العبد الصالح وعلم عيسى (ع) . . . وإن كان علماً يحتاج فيه الى نظر وتحصيل ، فهو - بلا شك - يحتاج الى دخالة الذهن لإدراك المفاهيم ، وتحليلها ، وتركيبها في قضايا لسهولة التعلم والتعليم . ولا يخفى على الأريب ان حصول العلم مع فقدان الوساطة لا يكون إلا بنحو من التجرد والتعلق بعالم الغيب ، وهو أشرف وأسمى من النحو الآخر من العلم ؛ لأنه لا يتخلف

، ولا يقبل الخطأ ولا يعتريه سهو ولا نسيان . وقد ظهر في كلا العلمين مراتب ، فكما أن العلم الكسبي والتحصيلي يشتد ويقوى عند الإنسان المتوجه الى طلب العلم ، ويضعف عند البليد الخامل الذي لا تصور له إلا اللهو واللعب ! يشتد عند المقربين من الأنبياء والمرسلين ، ويضعف عندما تُفك عرى التعلق بالملا الأعلى . وفي آخر الموارد نطفر بنسبة العلم الى الطير في ضمن المذكورين في الآية القرآنية ، ولا يخفى ان الصلاة والتسبيح في الآية القرآنية هما فرع العلم ، ومن دون علم لا يكون هناك تسبيح ولا صلاة ، وقد اختلف في العلم هذا نظراً لنسبته الى موجود غير عاقل - بحسب النشأة المادية - فبعضهم قال أنه محمول على الاستعارة التبعية ، أي " انه يشبه دلالة كل واحد من المذكورين على الحق بلسان الحق والمقال وميل كل منهم الى النفع اختياراً أو طبعاً بعلم التسبيح والصلاة فيطلق على كل واحد من تلك الدلالة والميل اسم العلم على سبيل الاستعارة ويشترق منه لفظ علم " (١٠٥) . وبعضهم حملها على الحقيقة ، ويراد به مطلق الإدراك ، أي : إن الله عز وجل ألهمها ذلك (١٠٦) . وقد ربط العلامة الطباطبائي بين العلم والوجود عند تفسير الآية ٤٤ من سورة الإسراء بقوله : " كلامه مشعر بان العلم سار في الموجودات مع سريان الخلقة فلكل منهما حظ من العلم على مقدار حظه من الوجود ، وليس لازم ذلك أن يتساوى الجميع من حيث العلم أو يتحد من حيث جنسه ونوعه أو يكون عند كل ما عند الإنسان أو يفقه الإنسان بما عندها من العلم قال تعالى حكاية عن أعضاء الإنسان : ﴿ قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ فصلت / ٢١ . وقال : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ إِنِّيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ . . . وإن كان كذلك فما من موجود مخلوق إلا وهو يشعر بنفسه بعض الشعور وهو يريد بوجوده إظهار نفسه المحتاجة الناقصة التي يحيط بها غنى ربه وكماله لا رب غيره فهو يسبح ربه وإن ينزله من الشريك وعن كل نقص ينسب إليه (١٠٧) .

وقد جعل العلامة المصطفوي العلم فرع الحياة بقوله : " فالجامد ما دام فيه الحياة وقواها فعليه ، أي قوة الاستمساك والتجاذب بين الأجزاء وما يلحقها ، يلزمها

العلم في مقام الذات أشد مما هو في مقام الفعل ، لأن الأول غير متناه بخلاف الفعل الذي يكون متناهياً . والطائفة الثانية من الآيات تتحدث عن علم الملائكة ، وهو علم يفاض عليهم من العلم الإلهي بنحو يليق بتجردها ، فلا ذهن لهم للتعقل ولا آلة ينتقل بموجبها العالم الخارجي إليها ، إن نصيبهم من العلم تفقده درجتها الوجودية ، ومقامهم الأمري ، لذلك خفي عليهم وجه الحكمة الباعث على تنصيب الإنسان خليفة الله عز وجل . وعلم الملائكة يشترك مع علم الله عز وجل بالمفهوم ، ويختلف عنه بخصوص المصداق ، فمصداق العلم الأول هو الكمال الذي لا نقص معه من جميع الجهات ، فينسب له على نحو أشرف وأعلى وأتم بما ينسجم مع ما عليه الذات الإلهية من الوجوب ، والثاني هو تعليم من عليم لذا هو دونه بالمرتبة ، ولو كان نفسه ، لكانت الملائكة تعلم كل شيء ، ولا تخفى عليها خافية . . . وهذا لم يكن لضعفها وحاجتها الى ما يقوم وجودها وهو الخالق المدبر

الطائفة الثالثة من الآيات تنسب العلم الى موجودات مجردة ، لكن تجردها ليس في درجة الملائكة ، ومرتبته دون مرتبة الملائكة ، فهما من عالمين يتقدم احدهما على الآخر ، ولكن يبقى لعلمها منزلة كبيرة يستطيع من خلاله احد العفاريات أن يحضر عرش بلقيس ، من دون أن يحتاج الى وسيلة خارجية لإدراك المعلوم ، فهي تدرك - على وفق مرتبتها - الأشياء بحضورها عندها ، والعلم هنا له حدود أيضاً ، لا يستطيع تجاوزه الى مغيبات الأشياء ، وفي قصة سليمان (ع) ما يؤكد ذلك . قال تعالى : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ سبأ / ١٤ . والجن كالملائكة يتفاوتون فيما بينهم ، فمنهم المؤمنون ومنهم دون ذلك ، ولا شك ان المؤمن بحكم إيمانه ومنزلته ينال من العلم ما لا ينال غيره .

وإذا ما انتقلنا الى الطائفة الأخرى ، سنجد أن العلم ينسب الى الإنسان ، ولأن الإنسان هو محور القرآن ، ظهرت مراتب العلم الذي يعزى إليه بوضوح ، فهناك علم عالٍ مصدره ومنشؤه التعليم الإلهي ، ومنه علم الأنبياء ، ولما كان الأنبياء يتفاوتون فيما بينهم بالمنزلة والدرجة الوجودية ، تفاوت العلم الذي ينسب إليهم ، ولا شك أن أنبياء أولي العزم ينالون من العلم الدرجة العليا ، ورئيسهم وإمامهم الحبيب المصطفى (ص) . قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ البقرة / ٢٥٣ ، ثم يلحق بأولي العزم الأنبياء الآخرون . ثم تأتي درجة الأولياء ، ومنهم العبد الصالح في قصته مع النبي موسى (ع) ووصي سليمان ، وغيرهم ، بعد ذلك يأتي دور العلماء الذين مدحهم الله في كتابه ، كالراسخين في العلم .

والعلماء الذين يخشونه عز وجل ، والذين يشهدون له بالعلم مع الملائكة ، والذين يعقلون الأمثال القرآنية ، ولا يزال يتدرج العلم في نسبته الى الذوات ، حتى يصل الى

مرتبة لا ينال مكتسبه مزية ثناء أو منقبة مدح ، لاستواء الناس فيه جميعاً ، وهو أدنى أُنحائه ، بل قد نجد العكس

على تحريك الإنسان نحو كماله المنشود وغايته السامية ،
ويصرفه عن حب النساء والشهوات والقناطر المقتطرة .
(*) ان تلبس الروح بقفص المادة يجعلها محكومة بأحكامها
، ومن ثم فان الركون الى هذه الجهة وإغفال الجانب
المعنوي ، يفضي الى الفهم السطحي ، وهذا ما حدا ببعض
العلماء الى جعله من موجبات ظهور التشابه في القرآن
الكريم . ينظر الميزان ٦٧ / ٣ - ٧١ .
(٢) ينظر : تفسير القرآن الكريم ، صدر الدين الشيرازي
٥٨ / ٦ .

(*) قد يراد من الجمع الملائكة المدبرة شؤون الخلق بإذنه
تعالى ، ولا استقلال في العلم بين الاثنين ولا بينونة ؛ لأنهم
مظاهر مجردة له عز وجل ، وكل ما يؤديه المظهر ليس له
استقلال عن الظاهر . ينظر في شأن تدبير الملائكة التوحيد
٣٧٥ / ٢ وما بعدها .

(*) إذا جاء اسم التفضيل مجرداً من ال والإضافة ، لازم
حالة واحدة ، سواء أكان المستعمل معه مفرداً أم جمعاً .
ينظر : أوضح المسالك ٢ / ٢٩٤ .

(٣) ينظر : المنهج الجديد في تعليم الفلسفة ٢ / ٢٨٥ ،
٢٩٤ .

(٤) شرح المفصل ٧ / ٤ .

(٥) ينظر : الفعل زمانه وأبنيته ٢٣ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير ٢٣ / ٩٥ .

(٧) ينظر : التحرير والتنوير ٣٠ / ١٣٤ .

(٨) ينظر : البيان في تفسير القرآن ٣٧٣ ، تفسير أبي
المسعود ٤ / ٣٥ ، التحرير والتنوير ١٥٧ / ٩ .

(٩) ينظر : الميزان ٩ / ١٢٣ ، البيان ٣٧٣ - ٣٧٤ .

(١٠) التوحيد ١ / ٢٧٠ .

(١١) ينظر : التحرير والتنوير ٩ / ١٥٧ .

(١٢) التفسير الكبير ٥ / ٥٠٧ .

(١٣) ينظر : الأدوات النحوية في كتب التفسير ٦٠٩ .

(١٤) أساليب النفي في القرآن ٢٤ .

(١٥) ينظر : روح المعاني ١١ / ١٩ ، وينظر تفسير
القرطبي ١٠ / ٤٧ .

(١٦) الميزان ١٠ / ٣١ ، وينظر التحرير والتنوير ١١ /
٤٦ .

(١٧) الميزان ١٠ / ٣١ .

(١٨) ينظر : مجمع البحرين ١ / ٣٦ .

(١٩) ينظر : تفسير أبي السعود ٨ / ١٠١ وينظر
التحرير والتنوير ٢٦ / ١٠٤ .

(٢٠) الميزان ١٣ / ٢٤٦ .

(٢١) ينظر : تفسير الألوسي ١٥ / ٢٧٢ .

(٢٢) ينظر : التحرير والتنوير ١٥ / ٢٨ .

(٢٣) معاني القرآن وإعرابه ١ / ١٩٤ ، وينظر مثله :
إعراب القرآن الكريم وبيانه ٤ / ٤٤٧ .

(٢٤) ينظر : الميزان ١ / ٣٣٤ .

(٢٥) ينظر : تفسير القرطبي ٢ / ٤٣٨ - ٤٣٩ ، روح
المعاني ٨ / ٥٥٤ .

(٢٦) ينظر : التحرير والتنوير ٢ / ٢٣ .

(٢٧) التوحيد ١ / ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٢٨) الصحاح ٥ / ١٩٩١ .

العلم الحضوري ، أي الحضور والإحاطة على الأجزاء في
مرتبة حياته ، وكذلك النبات إذا كان له نماء وطرارة
وحياة في عالمه ولقواه فعلية : فهو عالم ، أن الحياة فيه
تلازم الحضور والإحاطة على الأجزاء وعلى ما يلحقها ،
وهذا العلم يوجب إدارة أموره وتدبير قواه وتأمين النظم
بين أجزائه ، وكل هذا بمقتضى مرتبته ونصيبه من الحياة
الموجودة . ويشد العلم كلما اشتد نور الحياة مرتبة
فمرتبة (١٠٨) . ثم يقول : " ان الحياة وقواها تشتد
وتزيد وتتجلى قوية في مرتبة الحيوان (١٠٩) .

إن هذين النصين يؤكدان اشتراك الموجودات جميعاً في
نيلها حظاً من الشعور والإدراك في نفس الأمر والواقع ،
سواء أدركه الإنسان كما في فهم سليمان منطق الطير ،

وفقه لغة النمل ، وعلم النبي بتسبيح الحصى التي في يديه
أم لم يدركه ، فهو أمر كان ، احتجب عن القابعين في
سجن الدنيا ، والمحتجزين في أقفاص المادة ، لأن
الموجودات من حيث حضورها عند الله مدركة شاعرة ،
وإذا ما اشتدت حركة الإنسان في سيره نحو الله وظهرت
سريرته ، ارتفعت عنه الحجب ، وأدرك معنى تسبيح
الموجودات وصلاتها .

مما تقدم يتضح : أن العلم من حيث هو مفهوم ينسب الى
كل مرتبة من مراتب الوجود ، وينال كل منه بحسب سعته
ودرجته الوجودية ، فالله عز وجل ينسب إليه هذا المفهوم
، وهو قاصر من أداء ما وراءه لأن الكل مستفاد منه ،
ومخلوق له ، وتحت ملكه وقهاريته ، حتى هذا المفهوم
لولا الله لم يكن هناك سبيل لظهوره ومعرفته . وينسب الى
مرتبة الملائكة ، وهو نحو من حضور الأشياء لديها ،
ولولا التعليم الإلهي ، لم يكن ثمة علم ، وهناك علم للجن
وهو دون علم الملائكة .

وعلم الإنسان يختلف عن العلمين السابقين من حيث المقام
والمرتبة الوجودية فمنهم من يعلم الملائكة ، ومنهم من لا
يستحق عليه إطرأ كعلم العوام بأمور حياتهم .

ولا يخفى ان مرتبة الإنسان الوجودية هي فوق مرتبة
الملائكة ؛ لأن فيه تلك الوديعه التي هي من سنخ الله عز
وجل ، وتقبل لأن تكون مظهراً لله عز وجل في جميع
أسمانه .

وقد تبين كيف ان الخليفة تحمل التعليم الإلهي الذي لم يسع
مرتبة الملائكة أن تتحمله ، فوقعت ساجدة له ، خادمة بين
يديه ، وما ذلك إلا لأن حقيقته فوق حقيقتها ، ومرتبته
فوق مرتبتها .

إن الانتساب الى كل هذه الجهات لا يجعل المفهوم متبايناً ،
بل هو واحد ، ولكن يختلف من مرتبة الى أخرى بالشدة
والضعف ، وفي مفهوم الشجاعة والكرم ما يدلنا على ذلك
الهوامش :

(١) التحقيق في كلمات القرآن ١٠ / ١١٩ .

(*) ان هذا الطرح أدق مما قاله صاحب المقاييس في مادة (ك ل م)
من انه ((يدل على نطق مفهوم)) ؛ إذ لا يمكن
تطبيقه في مورد المعنويات والروحانيات المجردة .

(*) لما كان لهذا الوجود حيثيتان مجردة ومادية ، تحرك ،
في ضوئها ، باتجاهين : إما باتجاه روحه وباطنه ، أي انه
يشد باتجاه عالم الغيب ، وإما باتجاه غرائزه ونزواته ،
فيشد الى المادة ويتثاقل الى الأرض . . وقد دأب القرآن

- (٦٧) ينظر : الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ٥٧ - ٥٨ .
 (٦٨) ينظر : معاني الأبنية ١١٧ .
 (٦٩) روح المعاني ١ / ٢٩٤ .
 (٧٠) ينظر : نفسه ٩ / ٣٢ .
 (٧١) ينظر : الميزان ١١ / ٢٠٤ ، التحرير والتنوير ١٢ / ٨٢ .
 (٧٢) ينظر : تفسير القرطبي ١٢ / ٢٢٣ .

- (٧٣) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤ / ٢٢٧ .
<http://thiqaruni.org/arabic/53.pdf> .
 (٧٤) ينظر : نظم الدرر ٦ / ٣٢٦ ، وينظر : التحرير والتنوير ٢٣ / ٦٢ .
 (٧٥) ينظر : ملاك التأويل ٢ / ٢٩١ ، وينظر : نظم الدرر ٦ / ٣٢٦ .
 (٧٦) ينظر : المقتضب ٣ / ١٦١ .
 (٧٧) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب ٢ / ٢٥٨ - ٢٥٩ .
<http://thiqaruni.org/arabic/16.pdf> .

- (٧٨) ينظر : معاني الأبنية ١٠٨ .
 (٧٩) ينظر : المصدر السابق ١٠٩ .
 (٨٠) التحقيق في كلمات القرآن الكريم ٨ / ٢٥٥ .
 (٨١) ينظر : الميزان ٦ / ٩٨ - ١٩٩ .
 (٨٢) ينظر : روح المعاني ٧ / ٧٢ .
 (٨٣) ينظر : الميزان ٦ / ٢٠٠ .
 (٨٤) الميزان : ٦ / ٢٤٦ .
 (*) المصدر القياسي للثلاثي المفتوح الفاء ، المكسور العين هو فُعل . ينظر : أوضح المسالك ٢ / ٢٦٠ .
 وينظر : شذا العرف ١١٩ .
 (٨٥) ينظر : شرح التصريح ٢ / ٣ .
 (٨٦) ينظر : الميزان ١٠ / ٢٢٦ .
 (٨٧) ينظر : التفسير الكبير ٣ / ١٢ ، وينظر : تفسير أبي السعود ١ / ٢٤٨ .
<http://thiqaruni.org/arabic/58.pdf> .
 (٨٨) ينظر : روح المعاني ٣ / ١٥ .
 (٨٩) ينظر : التحرير والتنوير ٢ / ٤٩٦ - ٤٩٧ .
 (٩٠) الميزان : ٢ / ٣٣٩ - ٣٤٠ .
 (٩١) نفسه ١٨ / ٤١٥ .
 (*) المراتب اما ان تكون طويلة تشمل الموجودات جميعاً ، واما ان تكون عرضية تشمل موجودات عالم من العوالم ، والمراد هنا الاول دون الثاني .
 (٩٢) ينظر : المنهج الجديد في تعليم الفلسفة ١ / ١٤٠ ، والتوحيد ١ / ١٩٥ .
 (٩٣) المنهج الجديد ١ / ٦٩ .
 (٩٤) ينظر : بدائع الفوائد ١ / ١٣٦ - ١٣٧ ، وينظر : شرح أسماء الله ٦٨ .
 (٩٥) ينظر : المقصد الأسنى ٣٣ .
 (٩٦) ينظر : تفسير الصافي ١ / ٦٧ - ٦٨ .
 (٩٧) الميزان ١ / ١٢ - ١٣ .
 (٩٨) الميزان ١ / ١٢ - ١٣ .
 (٩٩) السابق نفسه ١ / ١٢ - ١٣ .

- (٢٩) ينظر : الميزان ٥ / ٨٠ وما بعدها .
 (٣٠) الميزان ١٣ / ٣٤٢ .
 (٣١) ينظر : التحرير والتنوير ٢ / ٤٩ .
 (٣٢) دلائل الإعجاز ١١٧ .
 (٣٣) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ٧٥٠ .
 (٣٤) ينظر : معاني الأبنية ٣٠ - ٣١ .
 (٣٥) معاني الأبنية ٣١ .
 (٣٦) السابق نفسه ٣٠ .

<http://thiqaruni.org/arabic/158.pdf>

- (٣٧) ينظر : أوضح المسالك ٢ / ٢٤٨ ، شرح التصريح على التوضيح ١١ / ٢ ، معاني الأبنية ٤٦ .
 (٣٨) التحرير والتنوير ٦ / ١٦٩ .
 (٣٩) ينظر : الميزان ١٦ / ٣٥٧ .
 (٤٠) ينظر : أوضح المسالك ٢ / ٢٤٨ ، شرح ابن عقيل ٢ / ١٠٦ .
 (٤١) ينظر : معاني الأبنية ١٤٤ - ١٤٥ .
 (٤٢) ينظر : الميزان ١٦ / ١٣٢ .
 (٤٣) الخصائص ٢٩٨ ، وينظر : معاني الأبنية ١٦٦ - ١٦٧ .
 (٤٤) ينظر : الميزان ١٧ / ٤٣ ، التحرير والتنوير ٢٢ / ١٥٨ .
 (٤٥) التحرير والتنوير ٢١ / ٣٣ - ٣٤ .
 (٤٦) ينظر : أوضح المسالك ٢ / ٢٥٩ .
 (٤٧) ينظر : معاني الأبنية ٥٩ .
 (٤٨) ينظر : الميزان ١٢ / ١٤٤ ، التحرير والتنوير ١٣ / ٣٠ .
 (٤٩) ينظر : الميزان ١٧ / ١٧٥ .
 (٥٠) ينظر : التحرير والتنوير ٢٣ / ٩٨ .
 (٥١) ينظر : الميزان ٢ / ٧٨ ، التحرير والتنوير ٢ / ١٩٧ .
<http://thiqaruni.org/arabic/66.pdf> .
 (٥٢) ينظر : التحرير والتنوير ١٧ / ١٧٩ .
 (٥٣) ينظر : منحة الجليل ٢ / ١٧٤ ، شرح التصريح على التوضيح ٢ / ٩٢ .
 (٥٤) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب ١ / ١٠١ - ١٠٢ .
 وينظر : معاني الأبنية ٨٤ .
 (٥٥) ينظر : شرح ابن عقيل ٢ / ١٨٢ ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٨ / ٧٠٠ .
 (٥٦) ينظر : السابق ٢ / ١٧٢ ، و أوضح المسالك ٢ / ٢٩٤ - ٢٩٥ .
 (٥٧) ينظر : التحرير والتنوير ١ / ٧٢٦ .
 (٥٨) ينظر : التحرير والتنوير ٣ / ٨٦ .
 (٥٩) ينظر : أفعال التفضيل وأحسن التمثيل في محكم التنزيل ٢٠ .
 (٦٠) ينظر : التحرير والتنوير ٧ / ٤١ .
 (٦١) ينظر : التحرير والتنوير ٧ / ٢٣ .
 (٦٢) ينظر : الدر المصون ٥ / ١٢٦ .
 (٦٣) ينظر : الميزان ٨ / ٣٤٢ .
 (٦٤) ينظر : الميزان ١٦ / ٩٠ .
 (٦٥) ينظر : التحرير والتنوير ٢٠ / ١٦٤ - ١٦٥ .
 (٦٦) ينظر : الميزان ١٦ / ١٢٨ .

- ١٧ - التوحيد بحوث في مراتبه ومعطياته ، كمال الحيدري ، دار الصادقين للطباعة والنشر ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .
- ١٨ - الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .
- ١٩ - الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، عالم الكتب ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .
- ٢٠ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، احمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، تحقيق د . احمد الخراط ، دار القلم - دمشق ، ط ٢ ، ٢٠٠٣ م .
- ٢١ - دلائل الإعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق د . عبد الحميد هندائي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- ٢٢ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين الألوسي ، علق عليها محمد احمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .
- ٢٣ - شذا العرف في فن الصرف ، احمد الحملوي ، ضبطه وعلق عليه علاء الدين عطية ، مكتبة ابن عطية ، ط ٧ ، ٢٠٠٧ م .
- ٢٤ - شرح ابن عقيل ، عبد الله بن عقيل الهمداني المصري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
- ٢٥ - شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة ، سعيد بن علي بن وهب القحطاني ، راجعه د . عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين ، دار ابن حزم - بيروت ، ٢٠٠٣ م .
- ٢٦ - شرح التصريح على التوضيح ، خالد بن عبد الله الأزهرى ، تحقيق محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ٢٠٠٦ م .
- ٢٧ - شرح شافية ابن الحاجب ، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي ، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفراف ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .
- ٢٨ - شرح المفصل ابن يعيش الطبعة المصرية .
- ٢٩ - الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، اسماعيل بن حماد الجوهرة ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٩ م .
- ٣٠ - الفعل زمانه وأبنيته ، د . إبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٠ م .
- ٣١ - مجمع البحرين ، فخر الدين الطريحي ، تحقيق احمد الحسني ، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٨ م .
- ٣٢ - مجموعة رسائل العلامة الطباطبائي ، محمد حسين الطباطبائي ، تحقيق صباح الربيعي ، مكتبة فذك - قم ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .
- ٣٣ - معاني الأنبياء في العربية ، د . فاضل صالح السامرائي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ط ١ ، ١٩٨١ م .
- ٣٤ - معاني القرآن وإعرابه ، أبو اسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، شرح وتحقيق د . عبد الجليل عبده

- (١٠٠) ينظر : المنهج الجديد ١ / ١٤١ .
- (*) فهو هو من حيث المفهوم وإطلاق اللفظ ، أما هو غيره ، فمن حيث المصداق الذي يقبل الشدة والضعف .
- (١٠١) مجموعة رسائل العلامة الطباطبائي ٥٨ .
- (١٠٢) ينظر : التوحيد ١ / ٢٧١ .
- (١٠٣) اصول الكافي ١ / ١٢٨ .
- (١٠٤) ينظر : التوحيد ١ / ٢٦٩ .
- (١٠٥) روح المعاني ١٨ / ٥١٧ .
- (١٠٦) ينظر : نفسه ، وينظر : التفسير الكبير ٨ / ٤٠٢ - ٤٠٣ .
- (١٠٧) الميزان ١٣ / ١٠٧ - ١٠٨ .
- (١٠٨) السابق نفسه ٨ / ٢٥٢ .
- (١٠٩) التحقيق في كلمات القرآن الكريم ٨ / ٢٥٢ .
- المصادر :
- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الأدوات النحوية في كتب التفسير ، د . محمود احمد الصغير ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- ٣ - أساليب النفي في القرآن ، د . احمد ماهر البقري ، دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٨٤ م .
- ٤ - أصول الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ، دار الأسرة - ايران ، ط ١ ، ١٣٧٦ هـ .
- ٥ - الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، د . عبد الحميد احمد هندائي ، المكتبة العصرية ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- ٦ - إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محيي الدين الدرويش ، مطبعة سليمان زادة ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ .
- ٧ - أفعال التفضيل وأحسن التمثيل في محكم التنزيل ، خضر موسى محمد حمود ، عالم الكتب - بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .
- ٨ - أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ٥ ، ١٩٦٦ م .
- ٩ - بدائع الفوائد ، ابن القيم الجوزية ، ضبط نصه وخرج آياته احمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٠ - البيان في تفسير القرآن ، أبو القاسم الموسي الخوئي ، مطبعة العمال المركزية - بغداد ، ١٩٨٩ م .
- ١١ - التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، مؤسسة التاريخ - بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .
- ١٢ - التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، حسن المصطفوي ، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي ، ط ١ ، ١٣٨٥ هـ .
- ١٣ - تفسير أبي السعود المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود العمادي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ٤ ، ١٩٩٤ م .
- ١٤ - تفسير الصافي المولى محسن الكاشاني ، تحقيق محسن الحسني الاميني ، دار الكتب الاسلامية ، ايران ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- ١٥ - تفسير القرآن الكريم ، محمد بن إبراهيم الشيرازي ، تصحيح محمد خواجوي ، انتشارات بيدار قم .
- ١٦ - التفسير الكبير ، للإمام الفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م .

٤٣ - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ود. محمد بركات حمدي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، الأردن ١٩٨٥ م .

شلبي ، خرج أحاديثه علي جمال الدين محمد ، دار الحديث - القاهرة ، ٢٠٠٤ م .
٣٥ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر نويد إسلام ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ .

٣٦ - معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسن احمد بن فارس ، اعتنى به د. محمد عوض وفاطمة محمد ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .

٣٧ - المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب

٣٨ - المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ، أبو حامد الغزالي ، قراه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمود بيجو ، مطبعة الصباح - دمشق ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .

٣٩ - ملاك التأويل القاطع بذوي الاحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل ، أبو جعفر احمد بن إبراهيم الغرناطي ، وضع حواشيه عبد الغني محمد علي الفاسي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .

٤٠ - المنهج الجديد في تعليم الفلسفة ، محمد تقي مصباح اليزدي ، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني ، دار الكتب اللبنانية - بيروت .

٤١ - الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الأعلمي - بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .

٤٢ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ط ٣ ، ٢٠٠٦ م .